
فِقهُ الاستِدراك
كيف تصحح المسير،
وتستدرك ما فات في العمر الطويل في زمن قصير؟
محمد بن محمد الأسطل



كيف تُصحِّح المسير،

وتستدرك ما فات في العمر الطويل في زمن قصير؟

محمد بن محمد الأسطل

الطبعة الأولى

٢٠١٩

اسم الكتاب	فقه الاستدراك
اسم المؤلف	محمد بن محمد الأسطل
البريد الإلكتروني	Mastal2010@hotmail.com
رقم الإيداع	٨٥٨٦ / ٢٠١٩
عدد الصفحات	١٤٤ صفحة
عدد الألوان	٢ لون

الافتتاحيَّة

الحمدُ لله رب العالمين، وصلى الله وسلَّم على نبيِّه الكريم..

أما بعد:

فإنَّ كثيرًا من أصحاب الطُّمُوحِ تكتمل مداركُهم، وترجع إليهم هِمَّتُهم بعد سنواتٍ من المسير، فإذا انعطف الواحدُ منهم إلى الوراء، وأخذ يُعَدِّد السنين التي فاتته مسَّته الحسرة، ونزلت به الكآبة، واحتار كيف يُعَوِّضُ ما فات!.

ثم إذا ألقى نظرةً حوله، ورأى من تعلم وتفقه وجاهد وتقدَّم وبنى وتزوج مع اتحاد الظرف بينهم وبينه.. كادت أن تصيبه حالةٌ نفسيَّةٌ من الهم والغم والحزن والألم، فماذا عسى أن يفعل؟ وكيف له أن يستدرك ما قصَّر؟.

هذا رجلٌ أقام على بدعته دهرًا طويلًا ثم اهتدى، لكن قلبه يكاد يتقطع على ما مضى من العمر، ويريد أن يستدرك فيما تبقى، فما العمل؟.

شابٌّ من الشباب تردَّد حاله بين الهداية والغواية، واعتراه من الشيطان ما اعتراه، حتى ضعفت همته، وانتكست سيرته، وفسدت سريرته، ولمَّا سمع منادي الإيمان يدعوه: إلى الهدى ائتنا.. قرر النهوض والانطلاق، لكنه يسأل عن التعويض والاستدراك، فماذا يفعل؟.

طالبُ علمٍ أنفق سنواتٍ عزيزةً من عمره، ولم يهتد إلى طريق الرَّشَد في الطلب إلا بعد حين، ولو استقبل من أمره ما استدبر لفعل كذا، ولصنع كذا، وربما تَعَجَّل التَّصَدُّرَ قبل التأهل، وشعر بالورطة في منتصف السبيل، ويريد الآن أن يستدرك على نفسه، فكيف يصنع؟.

ثم إنَّ هـذا أو ذاك لـو أخـذ يتذكـر طموحاتـه وخططـه وبرامجـه ومشروعاتـه التي كان يُؤَمِّـلُ إنجازهـا، فلربـما اشـتدت زفراتـه، وعلـت آهاتـه، حتـى ليـكاد يضطـرب نبضُـه القلبيُّ عندما يحسب السنين التي ضاعـت منه، وما زالـت تركـض أمام عينه.

ولكـن مـاذا عسـى البـكاء وحـده أن يصنـع؟ وإن كنـا نسـتفيد مـن البـكاء عـلى مـا فـات دفعَـهُ للاسـتدراك بالاجتهـاد فيـما هـو آت؛ فـإنَّ الهَـمَّ يفـضي إلى الهِمَّـة، ولذلـك عـدُّوا **أفضـل البـكاء مـا كان عـلى مـا فـات مـن الأوقـات، أو سـبق مـن المخالفـات**[1].

إنَّ قضيَّـةَ الاسـتدراكِ شـغلت أذهـانَ كثـيرٍ مـن الصَّحَابـة رضي الله عنهم كـما تشـغلك الآن؛ فقـد أسـلم كثـيرٌ منهـم في زمـنٍ متأخـر، ورأوا مـن تقـدَّم في رضـوان الله، وأكثَـرَ مـن العلـم والعمـل والجهـاد والدعـوة، فصرَّحـوا بعبـاراتٍ تنبيـك عـن الحالـةِ النفسـيَّةِ التي استحوذت عليهـم، حتـى صاحبتهـم إلى آخـرِ حياتهـم، ورسـمت لهـم خطَّـة العمـل فيـما تبقـى مـن العمـر، وبعـض تلـك العبـارات هـي التـي أضـاءت لي فكـرة الاسـتدراك كـما سـيأتي فيـما يُسـتقبل مـن الكتـاب إن شـاء الله، حتـى أَخَـذْتُ في التَّنظِـير لـه بالتَّدرِيـس، واليـوم بالتصنيـف.

وحتـى مـن كان مجتهـدًا مـن يـوم نشـأته فـلا يسـتغني عن منافـع الاسـتدراك؛ لأنَّ سِـهَامَ الغفلـة وضربـات الشـيطان لا بـد وأن تُوقِـعَ فيـه بعـضَ الجِرَاحـات، كنتيجـةٍ طبيعَّـةٍ لمعـركـةٍ شرسـةٍ مع عـدوٍّ دائم الهجمـات، فمـا منَّـا من أحـدٍ إذن إلا ولديـه مـا يحتـاج أن يسـتدرك بـه عـلى نفسـه، فشريعةُ الله فقـط هي التـي لا تقبل الاسـتدراك، وقـد قـال الله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣].

عـلى أنَّ الناشـئَ يَسـتفِيدُ مـن قوانـين الاسـتدراك اتِّضـاحَ السـبيل للنبـوغ المُبَكِّـر،

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (١/ ٥٠٩).

فَلَيسَ التيه شرطًا لمعرفة السبيل.

وأشرت في الكتاب إلى أنَّ الاستدراك إذا كان حاجةً في حق الفرد.. فإنه ضرورةٌ في حق المجتمع، بما فيه من هيئاتٍ ومؤسساتٍ وجماعات، في عامة الثغور ومختلف الجوانب التي تحتاجها الأمَّة.

وقد راعيتُ فيه أن أُخرِجَ موضوعاتِه على هيئةٍ صالحةٍ للدروس والمحاضرات؛ ليكون عونًا لمن رام نشر الفكرة؛ لأنَّ مجردَ التنظير لها دافعٌ للانطلاق فيها.

وقد جاء الكتاب في ثلاثة مباحث:

تكلم الأول عن حقيقة الاستدراك وفكرته، مع مآثر من حياة من استدرك من الصحابة رضي الله عنهم، مع كلماتٍ تربويةٍ في الحثِّ عليه.

وتولى الثاني الحديثَ عن مجالات الاستدراك، وعناية الشريعة به، مع التركيز على الاستدراك في الجانب التعبدي والفقهي والعلمي.

وأسفر الثالثُ عن معالم فقه الاستدراك، فذكرتُ فيها فقه اختيار مجال الاستدراك، وحسن التخطيط الإداري له، واستثمار الأزمنة والأمكنة والأعمال الفاضلة، والمواقف الفاصلة، مع إعطاء مساحةٍ للحديث عن مفاتيح الاستدراك وعوائقه.

وفي ختام هذه المقدمة أشكر الإخوة الكرماء الذين استجابوا لجلسة مناقشة الكتاب قبل صياغته الأخيرة، فقد عادت كلماتهم بالنفع الحسن على مادة الكتاب.

والشكر الوافر والثناء العاطر يتوجه خاصةً لفضيلة شيخنا الدكتور يونس بن محيي الدين الأسطل، وكذلك أخي الشيخ حمزة بن عبد الكريم الأغا على ما تفضلا به من مراجعةٍ للكتاب بعد إنجازه، وإثراءٍ له بما يسر القلب ويبهج النفس، فجزاهما الله كل خيرٍ وفضلٍ وفضيلة.

وإني لأسأل الله جل جلاله بعزته وجلاله وعظمته وكماله أن ينفعني وإياكم نفعًا كبيرًا بهذا الكتاب، وأن يجعله حُجَّةً لي لا عليَّ يوم المآب، إنه رحيمٌ تواب، كريمٌ وهَّاب.

وهذا ما أنجز الكاتبُ تأليفَهُ وترتيبَه، وجمعَهُ وتبويبَه، فإن أحسن فهذا محض فضل الله عليه، وإن زلَّ فالزلل منسوبٌ إليه، وأعوذ بالله أن أذكركم به وأنا منه براءٌ براء، وأستنصحكم بقول العلامة **الحريري** في خاتمة المُلْحَةِ:

فَانظُرْ إليها نَظَرَ المُستَحسِنِ ... وأحسِنِ الظَّنَّ بها وحَسِّنِ

وإنْ تَجِدْ عَيبًا فَسُدَّ الخَلَلا ... فَجَلَّ مَنْ لا فيهِ عَيبٌ وَعَلا[1]

والله الموفق، والهادي إلى سواء السبيل

مُحَمَّد بن مُحَمَّد الأَسْطَل

فلسطين - قطاع غزة - خان يونس

للتواصل[2]: **Mastal2010@hotmail.com**



(١) ملحة الإعراب (١/ ١٦).

(٢) يمكن التواصل على الفيس بوك على حساب: «محمد بن محمد الأسطل».



على عتبات الاستدراك

في هذا المبحث ثلاثةُ مطالب:

الأول: بيان حقيقة الاستدراك وفكرته.

والثاني: نماذج من أخبار المستدركين توضحه.

والثالث: همساتٌ تربويةٌ تدفع إليه، وتحث عليه.

ودونك بيانَ ذلك:

المطلب الأول

حقيقة الاستدراك وفكرته

يأتي الاستدراك في اللغة على معنيين:

الأول: بمعنى إصلاح الأمر، وتلافي ما حصل فيه من خطأٍ أو نقص[١]، ومن هذا الباب ما يتعقبه العلماءُ على بعضهم.

فنجد الزَّبِيدي الإمام اللغوي يكتب كتابه «الاستدراك على سيبويه في كتاب الأبنية»، ونجد الحاكم الإمام المحدث يكتب كتابه «المستدرك على الصحيحين» لا لينتقد البخاري ومسلمًا؛ بل ليدون الأحاديث التي جاءت على شرطهما في التصحيح ولم يذكراها.

والثاني: بمعنى تدارك ما فات، فالدَّرك والإدراك بمعنى اللحاق، يقال: مشيت حتى أدركه[٢]، والمقصود هنا أنَّ المستدرِكَ هو من يُشَمِّرُ عن ساعدِ الجد، ويشتغل بالتعويض لما فاته حتى يبلغ درجةَ الماشي من زمنٍ طويلٍ في وقتٍ قصير.

وأكثر الاستعمال الاصطلاحي للاستدراك عند العلماء يتفرع عن المعنى الأول، فمثلًا يأتي الاستدراك عند الفقهاء بمعنى إصلاح الخلل الحاصل في القول أو العمل، ومن هذا استدراك النقص الحاصل في الصلاة بسجود السهو، واستدراك

(١) تاج العروس للزبيدي (٢٧/ ١٤٤).
(٢) لسان العرب لابن منظور (١٠/ ٤١٩) مادة «درك»، تاج العروس للزبيدي (٢٧/ ١٤٤) مادة «د ر ك».

الصلاة التي بطلت بإعادتها، وهكذا[١][٢].

والمعنى الذي نقصده في هذا الكتاب هو الثاني أصالةً، أما المعنى الأول فهو بمثابة الشرط له، فالذي يريد أن يستدركَ على نفسِهِ، ويعوض ما فاته لا بد وأن يُوقِفَ الخطأ، ويصحح المسار، فليس من العقل أن يتسرب من جيبك من المال مثل الذي تُحَصِّلُهُ أو أكثر منه، فتصبح ملومًا محسورًا.

إذن؛ فالاستدراك هو عمليةُ تعويضٍ لما فات بالاجتهادِ فيما هو آت.

وهنا مسألةٌ ذاتُ بالٍ تستحق أن تذكر ويُركَّز عليها، وهي أنَّ ما يفوت الإنسان إما أن يكون في شأن الدنيا أو في شأن الدين.

والشريعةُ جَاءت بحفظِ أمرِ الدنيا كما جاءت بحفظ أمر الدين، ولهذا جعلت «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[٣]، فرفعت منزلته في الآخرة إلى منزلة المدافعين عن الدين، ومع ذلك فإنَّ **فواتَ الدِّينِ أخطرُ من فوات الدنيا.**

ومع أنَّ هذا المعنى مغروسٌ في أغوار كل مسلم إلا أنَّ من اللطائف المؤكدة له أنَّ المستعاذ به في سورة الفلق مذكورٌ بصفةٍ واحدة؛ وهي أنه رب الفلق، والمستعاذ منه ثلاثة أنواع من الآفات؛ وهي الغاسق والنفاثات والحاسد[٤]، وأما في سورة الناس فالمستعاذ به مذكورٌ بصفات ثلاث، وهي الرب والملك والإله، والمستعاذ

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية (٣/ ٢٦٩-٢٧٠).

(٢) وعند النحاة يأتي بمعنى تلافي ما يقع من توهم، فيعرفون الاستدراك بأنه رفع ما يتوهم ثبوته من كلام سابق، أو إثبات ما يتوهم نفيه، مثل قولهم: «زيدٌ شجاع؛ لكنه بخيل»؛ لأن من لوازم الشجاعة الجود والكرم، فلما لم يكن هذا موجودًا استدركنا بالقول: لكنه بخيل.

(٣) انظر سنن النسائي، رقم الحديث: (٤١٠٦) صححه الألباني.

(٤) المقصود بشر الغاسق إذا وقب تلك الشرور التي تظهر في الليل من دواب ولصوص وغير ذلك، وشر النفاثات أي شر السواحر اللائي ينفثن في العقد، وشر الحاسد هو ما إذا عمل بما يدفعه إليه الحسد. انظر: المختصر في التفسير ص (٦٠٤).

منه آفةٌ واحدة، وهي وسوسة الشيطان، والفرق بين الموضعين أنَّ الثناءَ على الله في الاستعاذة به والدعاء يتقدر بقدر المطلوب، فالمطلوب في السورة الأولى سلامة النفس والبدن، والمطلوب في السورة الثانية سلامة الدين، وهذا تنبيه أن **مضرة الدين وإن قلت أعظم من مضار الدنيا وإن عظمت**[1]!.

ولهذا من نزلت به مصيبةٌ أذهبت ماله أو صحته أو شيئًا نفيسًا عنده نجد القرآن الكريم يعالجه بأنَّ ما فاته أمرٌ قدَّره الله عليه سلفًا، والله لا يُقَدِّر إلا الخير، يقول الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ [الحديد:٢٢، ٢٣].

وتأمل الضمير في قوله: ﴿نَّبۡرَأَهَآ﴾ على أيِّ كلمةٍ يعود؟

إن عاد على المصيبة فالمعنى: إنَّ المصيبةَ مُقدرةٌ قبل أن تحصل، فلا تأس على ما فات.

وإن عاد على ﴿أَنفُسِكُمۡ﴾ فالمعنى: إنَّ المصيبةَ مقدرةٌ قبل أن تُخلقَ النفسُ التي قدَّر الله على صاحبها المصيبة[2].

وإن عاد على ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ فالمعنى: إن المصيبة واقعةٌ في قدر الله قبل أن يَخلق الأرض التي خلق عليها الإنسان الذي قدَّر الله عليه المصيبة.

وهذا التقدير المُبهر لماذا؟ الجواب: ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾، ولا تحزنوا على ما ضاع عليكم!، فوَطِّنُوا أنفسَكم على ذلك، يقول ابن كثير في تأويلها: أي أعلمناكم بسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها، وتقديرنا الكائنات قبل

(١) تفسير الفخر الرازى (١/ ٤٩٠٦).
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٩٥).

وجودها؛ لتعلموا أنَّ ما أصابكم لم يكن ليخطئكم، وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم، فلا تأسوا على ما فاتكم، فإنه لو قُدِّرَ شيء لكان[1].

وذكر بعض المفسرين جواز عود الضمير على جميع ما ذُكر[2].

لكن هذه اللغة تختلف تمامًا عند فوات شيءٍ من الدِّين؛ فقد روى **البخاريُّ ومسلم** عن **ابن عمر** أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**الَّذِي تَفُوتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ كَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ**»[3]؛ أي: كأنما انتزع منه أهله وماله[4]، وبقي وحده منفردًا في الدنيا!.

فالدنيا مَمَر، والآخرة مقرٌّ ومستقر، ولو رأيت في الناس من يُؤْثِرُ خزفًا يفنى على ذهبٍ يبقى لاتهمته في عقله، فكيف بما بين الدنيا والآخرة من تفاوت!.

ولهذا **يقضي همُّ فواتِ الدِّين على همِّ فوات الدنيا إذا اجتمعا**، ولذا بعد أن حصلت الهزيمة لإخواننا الصحابة رضي الله عنهم يوم أحد بعد أن خالفوا أمر النبي ﷺ، وفاتت الغنيمة.. أشيع أنَّ النبيَّ ﷺ قد قتل، وهذه رأس المصائب الدينية، فغطى هذا الهم الثقيل على هم فوات النصر والغنيمة، فلما تبين أنه حيٌّ لم يكترثوا بما فاتهم من ذلك..

قال تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ﴾ [آل عمران:١٥٣]؛ أي: لما كنتم تبعدون في الأرض هاربين يوم أحد، ولا ينظر أحدٌ منكم لأحد، والرسول ﷺ يدعوكم من خلفكم بالثبات، فجازاكم الله على هذا ألمًا وضيقًا بما فاتكم من النصر والغنيمة أولًا، يتبعه ألمٌ وضيقٌ بما شاع بينكم من قتل النبي ﷺ ثانيًا.

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٧).
(٢) تفسير ابن عطية (٥/ ٢٦٨)، تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٨/ ٢٢٤)، تفسير الثعالبي (٤/ ٢٧١).
(٣) صحيح البخاري، رقم الحديث (٥٥٢)، صحيح مسلم، رقم الحديث: (١٤٤٨).
(٤) شرح النووي على مسلم (٥/ ١٢٦).

لماذا؟!

قال: ﴿لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡ﴾ [آل عمران:١٥٣]؛ أي أنزل بكم ذلك لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من النصر والغنيمة، ولا ما أصابكم من قتلٍ وجراح، بعدما علمتم أنَّ النبيَّ ﷺ لم يقتل، حيث هانت عليكم كل مصيبة وألم[١]، وبهذا غابت هموم الدنيا في غمرات هموم الدين والآخرة.

وهذا التعامل ليس تزهيدًا للإنسان في مصالحه الدنيوية، كلا؛ ولكنَّ أمرَ الدنيا قريب، وهي تدور على الابتلاء، ومن السهل أن تُعوض، فكم من رجل تعثَّر ثم نهض، وخسر ثم ربح، وفشل ثم نجح، وتقهقر ثم تقدم وأبدع.

يقول الشيخ **محمد صالح المنجد** بعد أن ذكر مثال غزوة أحد: حدثني أحد التجار أنه نزل إلى تحت الصفر وعلا إلى مئات الملايين أربع مرات في حياته!، فالدنيا تذهب وتجيء[٢].

لكل شيء إذا ضيَّعتــه عوض   وما من الله إن ضيَّعته عِوَض



(١) المختصر في التفسير ص (٦٩).
(٢) انظر: محاضرة له بعنوان: نظرات تربوية في استدراك ما فات، وهي منشورةٌ على الشبكة.

المطلب الثاني

مآثر مَن استدرك مِن الصحابة

هذا المطلب كالتتمة لما قبله؛ لأنك ترى فكرةَ الاستدراكِ متجسدةً في الرجال، وأُدَوِّنُ هنا أربعة نماذجٍ من أخبار المستدرِكين، وجعلتها في الصحابة فقط؛ ليُعلم حجمُ حضور فكرة الاستدراك في الجيل الأول، وسيطرتها على أذهانهم بوضوحٍ وجلاء، لا سيما عند من كان يتألم لتأخر إسلامه، أو لفوات مواطن صالحة عنه، أما أخبار من اتبعهم بإحسان فأذكرها متفرقةً في صفحات هذا الكتاب.

وأستهل النماذجَ بأنموذج **عمر بن الخطاب** ﵁ ثم أنموذج **عكرمة بن أبي جهل** ﵁؛ لأنهما أصل الفكرة عندي، وذلك أني لما كنت أقرأ في كتب السيرة بين يدي رمضان عام ١٤٣٨ هـ وأنا بالسودان؛ لإعانتها في فهم القرآن.. كنت أضع عناوين جانبيةً للمواقف التي أقرؤها، فكتبتُ أمام هذين الموقفين: فقه الاستدراك، وبقيت المادة تنمو حتى هيأ الله أسبابَ الكتابةِ فيها بعد العودة إلى غزة بفضل الله تعالى.

أما الأنموذج الأول: فأنموذج عمر ﵁:

فلما ذُكر عنه ﵁ أنه لما أسلم في بيت أخته، وطلب أن يدلوه على مكان النبي ﷺ، فأخبر أنه بدار **الأرقم** مع أصحابه، قصده وأعلن إسلامه، وهناك تفاجأ بوجود أخيه **زيد بن الخطاب** ﵁ قد سبقه إلى الإسلام، فقال له: أسبقتني إلى الإسلام؟! قال: ما كنت لأستئذنك؛ لقد كنت جبارًا!، فقال **عمر** ﵁: ولن تجدني في الإسلام خوارًا!، ثم قال: **أُشْهِدُ الله ورسوله وأشهدكم أني ما وقفت موقفًا آذيت فيه مسلمًا إلا وقفت مثله منافحًا عن الدين وأهله؛ لأستدرك ما**

سبقتموني إليه!.

وبدأت رحلة الاستدراك فورًا؛ فإنه حدَّثَ عن نفسه لما سأله ابن عباس: لأي شيء سُمِّيت **الفاروق**؟ قال: قلت حين أسلمت: يا رسول الله، ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: «بلى، والذي نفسي بيده إنكم على الحق وإن متم وإن حييتم»، قال: قلت: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن، فأخرجنا في صَفَّين، حمزة في أحدهما، وأنا في الآخر، حتى دخلنا المسجد، قال: فنظرت إليَّ قريشٌ وإلى حمزة، فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها، فسماني رسول الله ﷺ **الفاروق** يومئذ..

يقول **صهيب بن سنان الرومي** رضي الله عنه يلخص الأثر المبهر الذي سبَّبه إسلام **عمر** رضي الله عنه: لما أسلم **عمر** ظهر الإسلام، ودُعِيَ إليه علانية، وجلسنا حول البيت حِلَقًا، وطُفنا بالبيت، وانتصفنا ممن غلظ علينا، ورددنا عليه بعض ما يأتي به[1]!.

هذا **وعمر** رضي الله عنه له يوم ذلك سبعٌ وعشرون سنة فقط، وقد أسلم في السنة السادسة من البَعثة[2]، فأراد أن يستدرك ما فاته بسبب تأخر إسلامه، حتى فعل أفعالًا جعلته كمن أسلم من أول يوم.

ولما كان يوم الحديبية، وتم الصلح بشروطٍ ظاهرها الإجحاف بالمسلمين قال **عمر** رضي الله عنه: يَا رَسُولَ الله، أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟! فَقَالَ: «بَلَى»، فَقَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟! قَالَ: «بَلَى»، قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا، أَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ الله بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ! فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ الله وَلَنْ يُضَيِّعَنِي الله أَبَدًا»[3].

---

(١) الرحيق المختوم للمباركفوري ص (٨١).
(٢) مختصر سيرة الرسول لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص (١١٨).
(٣) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٣١٨٢)، صحيح مسلم، رقم الحديث: (٤٧٣٣).

إن مقولـة **عمـر** رضي الله عنه: «**فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا**» التي تعد اليوم من مفاخر الأقوال لما خرجت في ثوبٍ يشبه الاعتراض جعل **عمر** رضي الله عنه يندم على ما صدر منه ندمًا شديدًا، وقال بما يؤكد سيطرة عقلية الاستدراك على ذهنه: **فعملت لذلك أعمالاً، ما زلت أتصدقُ وأصومُ وأصلي وأُعتِقُ من الذي صنعت يومئذ؛ مخافة كلامي الذي تكلمت به، حتى رجوت أن يكون خيراً**[1]!.

وهذا يعني أن من فروع فقه الاستدراك أن يستحدث الإنسان في جدول تعبُّدِه أعمالًا مشروعة لم يكن من عادته أن يفعلها، أو يزيد على المقدار الذي اعتاده من قبل .

وأما الأنموذج الثاني: فأنموذج عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه:

وعكرمة رضي الله عنه أسلم متأخرًا يوم فتح مكة، وإذا كان **عمر** رضي الله عنه قد اشتد في الاستدراك على نفسه وقد أسلم أوائل البَعثة فكيف بمن أسلم بعد الفتح والله يقول: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد:١٠]، ومع ذلك فإنَّ المتتبعَ للحالةِ النفسيَّةِ التي كان عليها **عكرمةُ** رضي الله عنه يجده منشغلًا طيلةَ حياتِهِ في الإسلام بالاستدراك على نفسه.

ولنبدأ بعد هذه التوطئة من أول القصة فنقول:

كان عكرمة رضي الله عنه من رؤوس الكفر والغلاة فيه، ولما مات **أبو جهل** ولي مكانه **سيادة بني مخزوم**، وكان من أشد الناس على المسلمين، حتى إنه «لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَّنَ رَسُولُ الله ﷺ النَّاسَ إِلَّا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ وَقَالَ: «**اقْتُلُوهُمْ**

(١) الرحيق المختوم للمباركفوري ص (٣٠٩).

وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ»[1]، وعدَّدهم وبدأ بتسمية **عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ**؛ وذلك لأنهم كانوا يُمَثِّلُون أركان النظام القديم الذي تولى محاربة الدين وقهر المسلمين.

لكن زوجته سعت عند النبي ﷺ ليُؤَمِّنَه، فأمنه، فأتت به من اليمن، وكان قد فرَّ إليها، فلما جاء قام له النبي ﷺ محييًا وقال: مرحبًا بالراكب المهاجر، فقال: ما أقول يا نبي الله؟ قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، قال: ثم ماذا؟ قال: تقول: اللهم إني أُشهدك أني مهاجرٌ مجاهد، ففعل..

ثم قال النبي ﷺ: ما أنت سائلي شيئًا أعطيه أحدًا من الناس إلا أعطيتك، فقال: أما إني لا أسألك مالاً؛ إني أكثر قريش مالاً، ولكن أسألك أن تستغفر لي[2].

ثم قال: يَا رَسُولَ الله، وَاللهِ لاَ أَتْرُكُ مَقَامًا قُمْتُهُ لأَصُدَّ بِهِ عَنْ سَبِيلِ الله إِلاَّ قُمْتُ مِثْلَهُ فِي سَبِيلِ الله، وَلاَ أَتْرُكُ نَفَقَةً أَصُدُّ بِهَا عَنْ سَبِيلِ الله إِلاَّ أَنْفَقْتُ مِثْلَهَا فِي سَبِيلِ الله!..

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْيَرْمُوكِ نَزَلَ فَتَرَجَّلَ، فَقَاتَلَ قِتَالاً شَدِيدًا، فَقُتِلَ، فَوُجِدَ بِهِ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ مِنْ بَيْنِ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ وَرَمْيَةٍ[3]!.

وقد ورد أنه لما ترجل رضي الله عنه قال له **خالد بن الوليد** رضي الله عنه: لا تفعل؛ فإنَّ قتلَكَ على المسلمين شديد، فقال: خلِّ عني يا خالد؛ فإنه قد كان لك مع رسول الله ﷺ سابقة، وإني وأبي كُنَّا من أشد الناس على رسول الله ﷺ، فمشى حتى قتل[4]!.

(١) سنن النسائي، رقم الحديث: (٤٠٧٨) صححه الألباني، وفي بقية الحديث ما يحسن الوقوف عليه، فانظره إن سرَّك أن يبسط لك في علمك.
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤١/ ٥٣).
(٣) مصنف بن أبي شيبة (١٣/ ٣٧).
(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤١/ ٦٩).

أرأيت كلام الرجل وفقهه!

تلك والله هي قصة الاستدراك!.

على قصته رضي الله عنه وقصة **عمر** رضي الله عنه قامت فكرة هذا الكتاب!.

إنَّ الرجلَ يقرر خطته باختصار، ويقول ما مفاده:

كل موقف وقفته ضد المسلمين سأقف مثله ضد الكفار، وقد رأيت شدَّتَه الآن على الكفار بعد الذي أشرتُ إليه من شدته على المسلمين، وهو الذي اشتد أيضًا على المرتدين لما استعمله **أبو بكر الصديق** رضي الله عنه قائدًا على جيش المسلمين في معارك عمان حين ارتدوا، فقاتلهم حتى أظفره الله بهم، ثم شد النفير فيما بعد إلى الشام واستشهد[1].

وكل درهم أنفقته في حرب المسلمين سأنفق مثله في سبيل الله!، فلو كان قد أنفق طيلة حياته في الكفر ما يعادل مائة ألف درهم فرضًا.. فإنه سينفق مثلها في مدة معدودة؛ تعويضًا لما فاته من الخيرات، كأنه كان قد أسلم وأخذ في النفقة من أول البَعثة النبوية في مكة!.

بل جاء عند **ابن عساكر** أنه قال: «**فوالله لئن طالت بي حياة لأضعفَنَّ ذلك كلَّه**»[2]، وقال: «**أما والله يا رسول الله لا أدع نفقة كنت أنفقها في صد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قتالًا كنت أقاتل في صد عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه في سبيل الله**»[3]، فالمواقف مضاعفة، والنفقات مضاعفة.

وبالجملة فقد كان محمود البلاء في الإسلام كما قال **الشافعي** رحمه الله[4].

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤١/ ٥١-٥٢).
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤١/ ٥٣).
(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤١/ ٦٤).
(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ٣٢٤).

وأما الأنموذج الثالث: فأنموذج أنس بن النضر ﵁:

ونترك المجال لابن أخيه **أنس بن مالك** ﵁ يتحدث بنفسه عن خطة عمه في الاستدراك فيقول كما عند **البخاري** في صحيحه:

غَابَ عَمِّي **أَنس بْنُ النَّضْرِ** عن قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: **يَا رَسُولَ الله غِبْتُ عن أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنِ الله أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ الله مَا أَصْنَعُ!.**

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ قَالَ: اللهمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ- يَعْنِي أَصْحَابَهُ-، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ -يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ-، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ: يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ، الْجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ!، قَالَ **سَعْدٌ**: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ الله مَا صَنَعَ.

قَالَ **أَنس**: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ!.

قَالَ **أَنس**: كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ...﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ[1].

إنَّ قولَه: «**غِبْتُ عن أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنِ الله أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ الله مَا أَصْنَعُ**» لكافٍ في إدراك خطة الرجل في الاستدراك؛ إنه يريد أن ينجز في معركة واحدة ما فاته في الأخرى، فيصبح وكأنه مشاركٌ في المعركتين، فيفوز بأجرين.

وما نواه ظاهرٌ جدًّا في أدائه؛ فإنَّ عددَ الضربات والطعنات والرميات التي أصابته تنبيك كم تحامل على نفسه، وشق صفوف المشركين حتى بلغ دون أُحُد، حتى إنهم ليُمَثِّلون بجثته حنقًا وغيظًا من شدة ما أَعْمَلَ فيهم قتلًا وجرحًا!.

(١) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٢٨٠٥).

وسبحان الله؛ فإنَّ الدورَ الذي قام به من استحثاث المسلمين واستفزازهم لُمنازلَةِ المشركين من جديدٍ يجعله كمن استدرك على نفسه وقعاتٍ كثيرة؛ فإنه أنقذ المسلمين من كارثة كادت تودي بهم.

وأما الأنموذج الرابع: فأنموذج خالد بن الوليد رضي الله عنه:

فإنه أسلم بعد البَعثة بعشرين عامًا تقريبًا، وذلك في شهر صفر من سنة ٨ هـ قبل فتح مكة بعدة أشهر، مما يعني أنه تأخر في إسلامه.

وفي تتبعي للحالة النفسية للرجل تجد أنه يعظم رجال السابقة في الإسلام، وأنه كان متأثرًا أنه تأخر في إعلان الإسلام، ويظهر هذا جليًّا في قصة إسلامه، فإنه لما قرر الإسلام في قصةٍ لطيفة قصد المدينة النبوية، وفي الطريق التقى بعمرو بن العاص، وكان قد ذهب يعلن إسلامه هو الآخر..

قال **عمرو**: فلقيت **خالد بن الوليد**، وذلك قبيل الفتح وهو مُقبِلٌ من مكة فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المَنْسِم[1]، وإنَّ الرجلَ لنبي، أذهب والله أسلم، **فحتى متى؟!!** قال: قلت والله ما جئت إلا لأسلم! قال: فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

لعلك تشعر الآن بتنهيدته وهو يقول: فحتى متى!.

وبدأت مسيرة الاستدراك، فقد أنقذ جيش المسلمين يوم مؤتة في أفضل انسحاب عسكري في التاريخ طالته يداي، وشهد فتح مكة وحُنينًا، وقاد معارك اليمامة ضد أهل الردة، وقضى على مسيلمة الكذاب، وغزا العراق وفتحه، ثم اخترق الصحراء من العراق إلى الشام في رحلةٍ فيها من الجرأة والمخاطرة ما يأخذ

---

(١) استقام المَنْسِمَ؛ أي: تَبَيَّنَ الطريق، والأصلُ فيه مَنْسِما خُفِّ البعيرِ، بهما يُسْتَبَانُ أَثَرُ البعيرِ. انظر: غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ٤٠٦).

(٢) مسند أحمد، رقم الحديث: (١٧٧٧٧). وقد حسنه شعيب الأرنؤوط.

بالعقول، بخطةٍ بارعة، ووصل في خمس ليالٍ فقط، وحاصر دمشق وفتحها هو وأبو عبيدة بن الجراح، وخاض جملةً من المعارك الفاصلة حتى فتح الله على يديه.

فأي رجل هذا الذي يُسلم متأخرًا، ثم يحوز أجر من أسلم من فارس والروم أعظم ممالك الدنيا آنذاك، وقد مثَّل رأس القادة الذين فتحوهما!.

وما عاش في الإسلام إلا ثلاثة عشر عامًا، وقد قتل جماعة من الأبطال، ثم مات أخيرًا على فراشه، فلا قرت أعين الجبناء، وتوفي بحمص سنة ٢١ هـ، وقد عاش ستين سنة، ولم يبق في جسده قيد شبر إلا وعليه طابع الشهداء[(١)]!.

وقل قريبًا من هذا في حق عمرو بن العاص ﵁؛ فإنه فاتح قطعة من الشام وفلسطين، وصاحب المقامات المحمودة، وهو القائل: ما عدل بي رسول الله ﷺ وبخالد منذ أسلمنا أحدًا من أصحابه في حربه[(٢)]!.

وتولى أمر مصر، وكانت ولاية مصر تعدل الخلافة، وحسنت سيرتُهُ في الناس، حتى دخل أكثر أهل مصر في دين الله أفواجًا.

وعقب تسجيل هذه المواقف التي تستفزُّ النفوسَ أسألك: ألا تسعى أن تكون واحدًا من أولئك الشجعان الذين سبق لهم أن أخطئوا وقصروا أو تكاسلوا وتأخروا ثم استدركوا على أنفسهم، وصاروا أئمة في الناس، ينصرون الله ورسوله، ويقيمون للإسلام كلمةً وصرحًا، حتى تكون ممن عَمَّهُ قولُ نبيِّنَا ﷺ: «**لَا يَزَالُ اللهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ**»[(٣)]! حسنه الألباني.

إنَّ الربَّ الكريمَ الذي فتح للأولين يمكن أن يفتح للآخرين، وفضل الله واسع، وإذا أعطى الله أدهش، فانطلق يا هُمَام وتحرك، واستدرك على نفسك، وأحسن الظن بربك، وإنَّ الله ذو الفضل العظيم.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ٣٦٦-٣٦٧).
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/ ٦٦).
(٣) سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٨).

المطلب الثالث

وأنذرهم يوم الحسرة

لـو تنقلت بخيالـك في مشـاهد القيامـة واستشـعرت بعقلـك ثـم بقلبـك أنَّ فرصـةَ الاسـتزادةِ مـن حسـنةٍ واحـدة فقـط أو التخفـف مـن سـيئة واحـدة فقـط قـد انتهـت، ثـم رأيـت فلانًـا الـذي تعرفـه وتعايشـه قـد سـبقك إلى الله، واسـتحق الدرجـات العلى، وأنـت بعـد مـا تـزال في الحـرج أو في الدرجـات الدُّنَـى لشـعرت بضغـط الحسـرة عليـك حتـى إنـك لتـكاد تختنـق.

يا الله، ماذا أفعل وقد انتهى كل شيء!.

يا رب، هل إلى خروجٍ من سبيل!.

إنَّ هـذا الشـعورَ الصعـبَ قـد طلـب الله تعـالى إلى نبيـه ﷺ أن ينـذر النـاس بخصوصـه، فقـال تعـالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم:٣٩].

إن شـدة التحسـر تصبـح سـمتًا عامًّـا لأكثـر أهـل الموقـف، حتـى إنَّ يـوم القيامـة لكأنـه مُمَحَّضٌ خالـصٌ للحسـرة، ولهـذا سـمي بيـوم الحسـرة؛ لأَنَّهَـا الغالبـةُ البـارزةُ علـى الوجـوه، فأهـل النـار يتحسـرون علـى نبـذ الإسـلام أو التباطـؤ في التوبـة مـن العصيـان، وأهـل الجنـة يتحسـرون علـى فـوات فرصـة الارتقـاء في رضـوان الله وفي درجـات الجنـة مـع توفـر الفرصـة لهـم، فغالـب النـاس يتحسـرون وإن اختلفـت درجـات هـذا التحسـر.

يقـول الشـيخ **محمـد راتـب النابلسي**: هـذه الآيـة تؤكـد أنَّ الـذي لم يعـرف ربـه جيـدًا في الدنيـا سـوف يواجـه حالـةً نفسـيَّةً لا تُوصـف، عـبَّر الله عنهـا بكلمـةٍ واحـدة هـي الحسـرة؛ لأنهـا سـمت أكثـر الخلـق، نسـأل الله أن ينجينـا منهـا.

ومن البشائر الكبرى أنك ما زلت في الدنيا، وأن الأمر لم ينقضِ بعد، ويمكنك أن تستدرك، أما إذا خرجت الروح وصرت في القيامة فإن حالك كمن ارتكب جريمة استحق عليها الإعدام، وصُدِّق الحكم، وسيق للتنفيذ، فإن بكاءه وضحكه وهو يصعد لدرجات المشنقة سيَّان.

فكيف لو وصل هذا التحسر إلى منتهاه، عندما ينقضي الأمرُ، ويموت الموت، ويدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النارِ النار..

فقد أخرج **البخاري ومسلمٌ** عن **أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ[1] وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾، وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا، ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾»[2].

وفي رواية **الترمذي**: «فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا مَاتَ فَرَحًا لَمَاتَ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا مَاتَ حُزْنًا لَمَاتَ أَهْلُ النَّارِ»[3].

ولهذا أصدح فيك أن استدرك نفسك وأمرك، قبل ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[الزمر:٥٦].

يا حسرتا على فوات الأعمار، وضياع الليل والنهار، يا حسرتا على ثلاثين عامًا، أو أربعين أو خمسين أو ستين عامًا، والزمن قد مضى، والعمر قد انقضى.

---

(١) أي يرفعون رؤوسهم ويمدون أعناقهم. انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٢٠).
(٢) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٤٧٣٠)، صحيح مسلم، رقم الحديث: (٧٣٦٠).
(٣) سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٥٥٨). وهذه الزيادة ضعفها الألباني.

يا حسرتنا على سهرٍ طال في معصية، ونهارٍ انقضى في غفلة.

يـا حسرتنا على صلاةٍ أضعتها، وأوراد نسيتها، ومقامات رفيعة كنت تطمح أن تبلغها لكن قصرت عنها.

يـا حسرتنا على حُرماتٍ انتهكتها، وأعراض خدشتها، وأوامر تركتها، ونواهٍ اقتحمتها، وخطايا تلذذت بها وضيَّعت بها ما وراءها.

يـا حسرتنا على صدقات كنت تتخذ بها إلى ذي العرش سبيلًا، لكنك بخلت.

يـا حسرتنا على قُدُرات ومهارات منحك الله إياها كنت تقدر أن تنصر الإسلام بها بإمامةٍ في جانب الجهاد أو السياسة أو الاقتصاد أو الإعلام، لكنك انشغلت بنفسك عن دعوة ربك، فويلٌ لذوي المواهب والقدرات من فروض الكفايات!.

يـا حسرتنا على لسانٍ ما رطَّبته بذكر الله، وتلاوة كتاب الله، أشغلتك عنه دنيا تغمسك في الهموم والأحزان، وألهتك عن أن تُكَوِّن لنفسك رصيدًا في جنة الله جل جلاله، أو أن تهيئ ذخيرةً تنفعك إذا وقفت بين يديه.

يـا حسرتنا على ليلٍ مر سريعًا ما تمتعت فيه بلذاذة التهجد، ومناجاة الله والبكاء من خشية الله، وربما اعتذرت لنفسك وبررت لها بأنك تفعل كذا وكذا من الخيرات، فالناس قد سبقتك إلى العليم الخبير وأنت منشغلٌ بالتسويغ والتبرير.

يـا حسرتنا على نعمٍ تنهمر عليك لم تشكر ربك عليها، وعلى أقدار حكيمة أتعبت نفسك بالتسخط عليها.

يـا حسرتنا على أصحاب صلحاء كنت تعلو عند الله بهم لكنك هجرتهم ولم تصغ لهم، يا حسرتا على أصدقاء أشقياء عرفت أنك تذل وتهلك بسببهم لكنك تشبثت بهم.

يا حسرتنا على باطلٍ اتبعته وحقٍّ عاديته.

يا حسرتنا على يومٍ يُكشف فيه الديوان بزلات اللسان وخطيئات الجَنان.

يا حسرتنا على عقلٍ لم تتفكر به في مخلوقات الله، وعلى قلبٍ لم تتأثر به من آيات الله.

يا حسرتنا على أيام وليالٍ وددت أن لو قمت فيها بالذل بين يديه، تقول: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، لكنك غفلت وتكاسلت.

إنها حسرة وأي حسرة التي يعانيها الغافل عن الله وكتابه وخَلقِه، وعن وقت السَّحَر الذي ينزل ربنا ﷻ فيه، الذي كان الصالحون يرجون الموت وما يربطهم بالدنيا إلا ساعات السَّحَر، تلك التي تطيب فيها القلوب، وتلتذ فيها الأفئدة.

إنها حسرةٌ وأي حسرة يوم أن يمنحك ربك فرصة المواسم الفاضلة؛ كرمضان والعشر الأوائل من ذي الحجة، أو الأماكن الفاضلة؛ كمكة والمدينة وبيت المقدس وأرض الرباط، ثم لا تبلغ المنزل الأعلى والمنصب الأسمى في جنة الله جل جلاله.

عارٌ والله ثم عارٌ على رجلٍ أعطاه الله موجبات فضله ورحمته وخرج من الدنيا صفر اليدين من رحمة الله وفضله، قد أخذته دوامة الحياة، وقطعت به الدنيا مرحلة بعد مرحلة، حتى خرجت روحه قبل أن يعرف مولاه حق المعرفة، أو يقدره حقَّ قدره.

أي حسرة تنزل بالإنسان وهو يرى بعض الذي عاشوا معه يُؤتى لهم بالركائب والنجائب عند القبور ليكونوا من وفد الرحمن الذين يخفف عنهم عناء يوم القيامة دون أن يكون معهم! وهو يرى صاحبه فلانًا يفوز بعليين، وذاك يُبشر بالفردوس الأعلى وهو ما زال يتجرع آثار ثقل الطين، ووحل المعصية، تؤزه صورة، وتسيطر عليه شهوة، وهل ينفع عند ذاك ندمٌ أو دموع!.

فكيف بك إذا فاز الأبرار وخبت، وحضر المتقون وغبت، وتقدم الصالحون وأخرت، فهلا استدركت على نفسك اليوم قبل أن ينقضي الأمر وتفوت

الفرصـة؟!.

ما الـذي يجعلك تـرضى بحيـاة الكسـل وأنـت تعلـم أن المصير إنـما هـو ليـوم يكـون أعلى رجـاء للكافـر فيـه أن يهلـك، حتـى إنـه ليدعـو ثبـورًا، ويقـول: يـا مالـك ليقـضِ علينـا ربـك، وقـد كانـت السـلامة أهـم مطلـب لـه في سـاحة الدنيـا!، فأعتـق نفسـك اليـوم مـن عـذاب ربـك، وضـع قدمـك في الجنـة بوضـع قدمـك في الأعـمال المفضيـة إليهـا، قبـل أن تضيـع في عرصـات القيامـة.

إنَّ الجرعـة الإيمانيـة التربويـة -يـا أيهـا المبـارك- مهمـةٌ لمـن رام الاسـتدراك عـلى نفسـه، فإنها بمثابـة المـادة الدافعـة التـي تـؤزك إلى المعـالي أزًّا، وأمـارة العقـل عنـدك أن تتفاعـل معهـا، فـإن كنـت مدبـرًا فتـب وأقبـل، وإن كنـت مقبـلًا فاثبـت وأكثِـر؛ لئـلا تكـون ممـن قصدهـم **ابـن الجـوزي** بقولـه:

تأملـت في الخلـق وإذا هـم في حالـة عجيبـة، يـكاد يُقطَـعُ معهـا بفسـاد العقـل، وذلـك أن الإنسـان يسـمع المواعـظ وتُذكـر لـه الآخـرة فيعلـم صـدق القائـل، فيبكـي وينزعـج على تفريطـه، ويعـزم على الاسـتدراك، ثـم يتراخـى عملـه بمقتضى مـا عـزم عليـه، فـإذا قيـل لـه: أتشـك فيـما وُعِـدت بـه؟، قـال: لا والله، فيقـال: لـه فاعمـل، فينـوي ذلـك، ثـم يتوقـف عـن العمـل[1]!.

صديـق قـال لي: رأيـت الشـمس في المنـام تخـرج مـن المغـرب، فاضطربـت الأرض، وهُـرع النـاس إلى الطرقـات يَئِنُّـون ويبكـون ويصرخـون، وانطلقـوا إلى المسـاجد يتوبـون ويدعـون الله أن يغفـر لهـم، ويتـوب عليهـم، وهـم يعلمـون أنَّ بـابَ التوبـة قـد أوصـد، لكـن لا يملكـون إلا ذلـك!.

ولذلـك أعيـد عليـك الآيـة الواعظـة: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي ص (١١٨).

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾، فاستدرك الآن على نفسك، وأقبل على ربك، وابك على خطيئتك وما ضاع من عمرك، قبل أن يأتي يومٌ تنتهي الأعمال إليه، ويتعذر الاستدراك فيه، وما أحسن قول الشاعر إذ شاركنا الفكرة فهتف قائلًا:

تَفِيْضُ عُيُوْنِي بِالدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ ... وَمَا لِيَ لا أَبْكِي عَلَى خَيْرِ ذَاهِبِ

عَلَى العُمْرِ إِذْ وَلَّى وَحَانَ انْقِضَاؤُهُ ... بِآمَالِ مَغْرُوْرٍ وَأَعْمَالِ نَاكِبِ

عَلَى غُرَرِ الأيامِ لَمَّا تَصَرَّمَتْ ... وَأَصْبَحْتُ مِنْهَا رَهْنَ شُؤْمِ المَكَاسِبِ

عَلَى زَهَرَاتِ العَيْشِ لَمَّا تَسَاقَطَتْ ... بِرِيْحِ الأَمَانِيْ وَالظُّنُوْنِ الكَوَاذِبِ

عَلَى أَشْرَفِ الأَوْقَاتِ لَمَّا غُبِنْتُهَا ... بِأَسْوَاقِ غَبْنٍ بَيْنَ لاَهٍ وَلاَعِبِ

عَلَى أَنْفَسِ السَاعَاتِ لَما أَضَعْتُهَا ... وَقَضَيْتُهَا فِي غَفْلَةٍ وَمَعَاطِبِ

عَلَى صَرْفِيَ الأيامَ فِي غَيْرِ طَائِلٍ ... وَلاَ نَافِعٍ مِنْ فِعْلِ فَضْلٍ وَوَاجِبِ

عَلَى مَا تَوَلَّى مِنْ زَمَانٍ قَضَيْتُهُ ... وَرَجَّيْتُهُ فِي غَيْرِ حَقٍّ وَصَائِبِ

عَلَى فُرَصٍ كَانَتْ لَوْ أَنِّيْ انْتَهَزْتُهَا ... لَقَدْ نِلْتُ فِيْهَا مِنْ شَرِيْفِ المَطَالِبِ

وَأَحْيَانَ آنَاءٍ مِنَ الدَّهْرِ قَدْ مَضَتْ ... ضَيَاعًا وَكَانَتْ مَوْسِمًا لِلرَّغَائِبِ

عَلَى صُحفٍ مَشْحُوْنَةٍ بِمَآثِمٍ ... وَجُرْمٍ وَأَوْزَارٍ وَكَمْ مِنْ مَثَالِبِ

عَلَى كَمْ ذُنُوبٍ كَمْ عُيُوْبٍ وَزَلَّةٍ ... وَسَيِّئَةٍ مَخْشِيَّةٍ فِيْ العَوَاقِبِ

عَلَى شَهَوَاتٍ كَانَتِ النَّفْسُ أَقْدَمَتْ ... عَلَيْهَا بِطَبْعٍ مُسْتَحَثٍّ وَغَالِبِ[1]

وأخيرًا:

من قصَّر في العمل ابتلاه الله بالحسرات والهموم في الدنيا قبل الآخرة، فاشتر طيب النفس اليوم بِقِلَّةِ الكسل وكثرة العمل، والله يتولاك ويرعاك.

(١) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار لعبد العزيز السلمان (٣/ ٩٤).

المبحث الثاني

مجالات الاستدراك، وعناية الشريعة به

تولى هذا المبحثُ بيانَ طرفٍ من عناية الشريعة بالاستدراك، وتطبيق الفكرة في الجانب التعبدي والفقهي والعلمي، مع إيماني العميق بأنَّ الاستدراكَ ينبغي أن يحضر وبقوة بالغة حتى يصبح ثقافةً لنا في هذه المرحلة الحرجة من حياة أمتنا، وذلك في الجوانب الفكرية والجهادية والأمنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والإعلامية والصحية والعلمية التخصصية، بل قد يكون بعض ذلك أولى من بعض ما نُسَجِّلُهُ هنا؛ لفضل العمل العام على التعبد الخاص، ولكنني أضع هنا أصل الفكرة، وينطلق الباحثون أصحابُ الأقلامِ إلى طرق الجوانب المذكورة وغيرها بشيءٍ من البسط والتفصيل في مؤلفاتٍ مفردةٍ لذلك، ليكون هذا الكتاب هاتفَ التذكير، والله ولي التدبير.

وهذه التوطئة تستلزم أن أجعل مطالب هذا المبحث أربعة: الأول لعناية الشريعة بالاستدراك، والثاني للاستدراك في الجانب التعبدي، والثالث في الجانب الفقهي، والرابع في الجانب العلمي، وإليك بيان ذلك:

المطلب الأول

عناية الشريعة بالاستدراك

لا بد أن يُعلم أولًا أنَّ الاستدراكَ من الأمور التي لا يُطلب لصحتها نص؛ لأنها من الأمور الجِبِلِّيَّةِ التي فطر الله الناس عليها، ولهذا يمكن الاستفادة فيه من التجارب الناجحة ولو لكافرٍ أو فاجر.

استحضر مثلًا الوضع المالي المتردي للأمة المسلمة، ثم انظر لتجربة الصين مثلًا التي كانت دولة متخلفةً اقتصاديًّا، وبدأت تستدرك على نفسها من العام ١٩٧٩م، في خطة محكمة انتهت بأن الصين في العام ٢٠٠٠م كان ما تُدخِلُهُ من مال في يوم يساوي ما كانت تُدخله آنذاك في سنة!، واليوم هي من القوى العالمية التي باتت تشكل خطرًا اقتصاديًّا على أمريكا خاصة والغرب عامة، فيمكن لنا أن نستفيد من خطتهم في مسيرة استدراكهم، ولا يمنع من ذلك مانعٌ شرعي، ولا عيبٌ عرفي.

وبعد هذا التنويه أذكر ثلاثة أدلة تنبيك بعناية الشريعة بالاستدراك.

أما الأول:

فقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان:٦٢].

قال **ابن كثير**: أي جعلهما يتعاقبان؛ توقيتًا لعبادة عباده له، فمن فاته عملٌ في الليل استدركه في النهار، ومن فاته عملٌ في النهار استدركه في الليل..

وورد مثل هذا التفسير عن **ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير** رضي الله عنهم، وذكره

البخـاري في صحيحـه[١]..

وعـن **الحسـن** أنَّ **عمرَ بن الخطـاب** رضي الله عنه أطال صلاة الضحى، فقيـل له: صنعت اليوم شـيئًا لم تكـن تصنعـه؟ فقـال: إنـه بقـي علي مـن وردي شيءٌ، فأحببـت أن أتمـه -أو قـال: أقضيـه- وتـلا هذه الآيـة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا﴾[٢].

وهذا المعنى رأيته حاضرًا في عظةٍ حسنةٍ سطرها الغزالي قال فيها:

من رأى نفسـه متوفـرًا على الخير جميع نهاره كانـت بشـارة لـه، فليشـكر الله على توفيقـه وتسـديده، وإن تكـن الأخـرى فالليـل خلفـة النهـار، فليعـزم عـلى تـلافي مـا سـبق مـن تفريطـه، وليشـتغل بتـدارك تقصـيره، وليحـضر في قلبـه أنَّ نهـارَ العمـر لـه آخر تغرب فيـه شـمس الحياة، فـلا يكـون لها بعدها طلوع، وعند ذلـك يُغلق بـاب التـدارك والاعتـذار، فليـس العمـر إلا أيامًـا تنقـضي جملتهـا بانقضـاء آحادهـا[٣].

والثاني:

مـا أخـرج **مسـلم** في صحيحـه عَـن **أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه أَنَّ فُقَـرَاءَ الْمُهَاجِرِيـنَ أَتَـوْا رَسُـولَ الله صلى الله عليه وسلم فَقَالُـوا: ذَهَـبَ أَهْـلُ الدُّثُـورِ بِالدَّرَجَـاتِ الْعُـلَى وَالنَّعِيـمِ الْمُقِيـمِ، فَقَـالَ: «**وَمَـا ذَاكَ**» قَالُـوا: يُصَلُّـونَ كَـمَا نُصَـلِّي، وَيَصُومُـونَ كَـمَا نَصُـومُ، وَيَتَصَدَّقُـونَ وَلَا نَتَصَـدَّقُ، وَيُعْتِقُـونَ وَلَا نُعْتِـقُ، فَقَـالَ رَسُـولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**أَفَـلَا أُعَلِّمُكُـمْ شَـيْئًا تُدْرِكُـونَ بِـهِ مَـنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْـبِقُونَ بِـهِ مَـنْ بَعْدَكُـمْ، وَلَا يَكُـونُ أَحَـدٌ أَفْضَـلَ مِنْكُـمْ إِلَّا مَـنْ صَنَـعَ مِثْلَ مَـا صَنَعْتُـمْ**»؟ قَالُـوا: بَـلَى يَـا رَسُـولَ الله، قَـالَ: «**تُسَـبِّحُونَ وَتُكَـبِّرُونَ وَتَحْمَـدُونَ دُبُـرَ كُلِّ**

(١) صحيح البخاري، انظر حديث رقم: (٤٧٥٩).
(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ١٢١).
(٣) إحياء علوم الدين للغزالي (١/ ٣٤٠) بتصرف.

صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً»..[(١)].

فظاهرٌ فيه أنَّ النبيَّ ﷺ يُرشِدُ الصحابة رضي الله عنهم كيف يدركون من سبقهم، ويعوضون ما فاتهم، ويفتح لهم سبل ذلك، ولو كانوا في عجزٍ من اللحاق بنفس العمل، وسنأتي لهذا المعنى بمزيد بيان وتمثيل فيما يستقبل من الكتاب إن شاء الله.

والثالث:

عامَّةُ الآياتِ والأحاديثِ الداعية للتوبة.

فإنَّ التوبةَ هي عمليةُ استدراكٍ حقيقية؛ إذ إنَّ شروط التوبةِ الثلاثةَ توزعت على الأزمنة الثلاثة؛ فيندم على الماضي، ويُقلِع في الحاضر، ويعزم ألا يعود في المستقبل، فهل رأيت بالله عليك تنظيمًا لمسير الحياة أجود من هذا التنظيم البديع؟!.

إنَّ التوبة المقترنة بشروطها تمنح صاحبها شعورًا بميلادٍ نفسيٍّ جديد؛ إذ التائب من الذنب كمن لم يقع في الذنب أصلًا!، فيكون بذلك قد أوقف الزلل، وصوَّب الاتجاه للمسار الصحيح، وما عليه إلا الاشتغال بالتعويض لما فات بفرط الاجتهاد فيما هو آت.

ومن رحمة الله بعبده التائب أنْ طيَّب نفسَهُ وجبر خاطره لَمَّا أعانه على ذلك بتحويل السيئات التي اقترفها سابقًا إلى حسنات؛ فقال جل شأنه في آية تستوجب شكرًا خاصًّا: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان:٧٠].

إذن فالأمر بالتوبة هو أمرٌ بالاستدراك، ولهذا ينبغي أن تستدرك سريعًا دون تأجيل، فقد مدح الله التائب عن قريب فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ

---

(١) صحيح مسلم، رقم الحديث: (١٣٧٥).

ﭐلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [النساء:١٧].

وللإمام **الغزالي** كلامٌ حسنٌ استصحب فيه منطق التوبة وشروطها وهو يُقَرِّرُ فقهَ الاستدراك، وهذا نص كلامه: «وأما القصد الذي ينبعث منه -وهو إرادة التدارك- فله تعلقٌ بالحال؛ وهو موجب ترك كل محظور هو ملابسٌ له، وأداء كل فرضٍ هو متوجه عليه في الحال، وله تعلقٌ بالماضي؛ وهو تدارك ما فرَّط، وله تعلق بالمستقبل؛ وهو دوام الطاعة ودوام ترك المعصية إلى الموت»[1].

وأنبه أخيرًا إلى أنَّ الشيطان يستغل حالة الوهاء النفسي عند كثير الذنوب بتشكيكه في قبول الله له، فمثل هذا يقال له: **أي ذنب ذلك الذي يصمد في وجه عفو الله ورحمته!** والله يقول في نصٍّ بينٍ لا لبس فيه: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣]، وهو القائل: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء:١١٠]!.

هذا وعدٌ من الله، وقد سمعت شيخنا الدكتور **محمد راتب النابلسي** يقول: **لزوال الكون أهون على الله أن يَعِدَكَ وعدًا ثم يخلفك إياه!**.

لكن أر الله منك خيرًا بكثرة العمل بعد التوبة من الزلل؛ فإنَّ الله تعالى لَّما قال: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة:١٠٤] قال بعدها مباشرة: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾ [التوبة:١٠٥]، ولما قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الشورى:٢٥] امتدح العاملين بعدها فقال: ﴿وَيَسۡتَجِيبُ

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٧/ ١١٩).

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ﴾ [الشورى:٢٦]، فالعمل بعد التوبة مُشعرٌ بقبولها.

والمقصود أنَّ من أخطأ لا ينبغي للإحباط أن يتسرب إليه؛ بل يتوب ويمضي في العمل، فمن شعر مثلًا بتسرب الرياء إلى عمله، وشقت عليه وصية **شداد بن أوس** رضي الله عنه لما حضرته الوفاة وطلبوا منه وصية مودع قال: **إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء!** يمكن أن يستدرك بما أرشد به التابعي **طلحة بن مصرف** لما سئل عن مراءٍ ماذا يفعل؟ قال: ليقل: **اللهم اغفر لي ريائي وسمعتي**، وتب وافتح صفحةً نقيَّةً جديدةً ثم سلامٌ عليك[1].

ومن تورط بسلب حق مسلم ردَّه إليه ولو من غير أن يعلم، أو تَصَالَحَ معه على خطةٍ زمنيةٍ لذلك.

ومن اغتاب مسلمًا استسمحه وتحمَّل حياء ذلك، فإن علم أنه يؤذيه بذلك فيستجيب لوصية **ابن المبارك**: لا تؤذه مرتين، اغتبته ثم تقول له: قلت فيك كذا وكذا!، وعند ذلك يلجأ إلى مدحه في المجالس التي نهش لحمه فيها، بالتركيز على حسناته، والسكوت عن زلاته، وليكثر من الاستغفار والدعاء له، فإذا جاء يوم القيامة، ووجد في صحيفته حسنات هذا الاستغفار فالرجاء أن يسامحك ويتجاوز عنك.

وهكذا..



(١) العوائق للراشد (٢/ ٣٠).



المطلب الثاني

الاستدراك في الجانب التعبدي

قد يكون الإنسان معتادًا على فعل شيءٍ من التعبد، ثم يفوته، فيسرت الشريعة له سبل استدراك ذلك، وأذكر في هذا المطلب استدراك ما يفوت من ورد القرآن، وأركان الإسلام، وأرجئ بقية ذلك إلى مطلب استثمار الفضائل من المبحث الثالث؛ لئلا نعاني التكرار.

وإليك بسط ذلك في خمسة أفرع: الأول: للقرآن، والثاني للصلاة، والثالث للصيام، والرابع للصدقة والزكاة، والخامس للحج.

الفرع الأول: استدراك الورد القرآني الخاص بالليل:

أخرج **مسلمٌ** في صحيحه أنَّ **عمرَ بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ مَا بَيْنَ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ»[1]، والمراد بحزبه: القرآن الذي التزم به، أو حدده لنفسه بأن يقرأه كل ليلة[2].

قال **أبو عمر ابن عبد البر حافظ المغرب** تعقيبًا على الحديث: «وهذا الوقت فيه من السعة ما ينوب عن صلاة الليل، فيتفضل الله برحمته على من استدرك من ذلك ما فاته»[3].

(١) صحيح مسلم، رقم الحديث: (١٧٧٩).
(٢) شرح سنن أبي داود لعبد المحسن العباد (٧/ ٣٣١).
(٣) التمهيد لابن عبد البر (١٢/ ٢٧٢).

الفرع الثاني: استدراك أوراد الصلاة:

روى **مسلم** في صحيحه عن **عائشة** رضي الله عنها قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا أَثْبَتَهُ، وَكَانَ إِذَا نَامَ مِنْ اللَّيْلِ أَوْ مَرِضَ صَلَّى مِنْ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً»[1].

ونصُّ روايةِ **أبي داود** في سننه: «وَكَانَ إِذَا غَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ مِنَ اللَّيْلِ بِنَوْمٍ صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً»[2]. صححه الألباني.

وورد عن **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه أنه قال: «من فاته وِردُهُ فليقم به في صلاةٍ قبل الظهر يقول: صلاة الليل»[3].

وروى **الترمذي والنسائي** عَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ صَلَاتُهُ، فَإِنْ كَانَ أَكْمَلَهَا وَإِلَّا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ، فَإِنْ وُجِدَ لَهُ تَطَوُّعٌ قَالَ: أَكْمِلُوا بِهِ الْفَرِيضَةَ»[4]. صححه الألباني.

وقد أفاد الحديث أنَّ مجردَ الاستكثار من النوافل التطوعية هو محض استدراك لما داهم الفرائض من نقص، فيصبح من خطة الإنسان أن يبالغ في النوافل حتى يأتي يوم القيامة وقد كملت فرائضه، فيسلم من المؤاخذة، ويفوز بأجر الوافية أعمالهم.

الفرع الثالث: استدراك الصيام:

من خاف النقص في صومه أو زكاته أو صدقاته أو صلاته فليكثر من التنفل من جنس ما خاف الفوات فيه؛ فقد أخرج **أبو داود** في سننه من

---

(١) صحيح مسلم، رقم الحديث: (١٧٧٨).
(٢) سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٣٤٤).
(٣) تهذيب الآثار للطبري (٣/ ٩٨).
(٤) سنن أبي داود، رقم الحديث: (٨٦٤)، سنن الترمذي، رقم الحديث: (٤١٣)، سنن النسائي، رقم الحديث: (٤٦٦) واللفظ للنسائي.

حديث أبي هريرة ﵁ أنَّ النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّلَاةُ، قَالَ: يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَزَّ لِمَلَائِكَتِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ: انْظُرُوا فِي صَلَاةِ عَبْدِي أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا؟، فَإِنْ كَانَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةً، وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا قَالَ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟، فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ قَالَ: أَتِمُّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الأَعْمَالُ عَلَى ذَاكُمْ»[1]. صححه الألباني.

وروى أيضًا عن تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا الْمَعْنَى قَالَ: «ثُمَّ الزَّكَاةُ مِثْلُ ذَلِكَ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الأَعْمَالُ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ»[2]. صححه الألباني.

فقوله: «ثُمَّ تُؤْخَذُ الأَعْمَالُ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ» يشمل الصيام كما هو ظاهر.

وينضم من سبل استدراك الصيام حسنُ الخلق؛ لما أخرج أبو داود عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»[3]. صححه الألباني.

والحقيقة أنَّ حُسنَ الخلق والأدب عبادةٌ مشهورةٌ قولًا لكنها تكاد تكون مهجورةً عملًا، والأدب عملٌ يحتاج لقوة تحكم بالمشاعر من صاحبه، ومغالبة الطبع، ومن هنا يأتي العناء في تحقيقه في النفس، أعاننا الله عليه بمنه وكرمه وفضله.

وكذلك يستدرك بتفطير الصائم؛ لما أخرج الترمذي وابن ماجه عن زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِمْ مِنْ

(١) سنن أبي داود، رقم الحديث: (٨٦٤).
(٢) سنن أبي داود، رقم الحديث: (٨٦٦).
(٣) سنن أبي داود، رقم الحديث: (٤٨٠٠).

غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا»[1]. صححه الألباني.

وهذا الفضل يعم تفطير الإنسان لأهل بيته الصائمين، وينبغي أن يحرص المسلم على تفعيله في المواسم الفاضلة؛ كرمضان وستة من شوال والعشر الأوائل من ذي الحجة، خاصة يوم عرفة؛ فإن صيامه يُكفر سنتين من السيئات، ويُرجى أن تفوز بتكفير سنتين عن كل شخص تُفطِّره لمنطوق الحديث، فيتحصل من ذلك مضاعفة عدد السنوات بحسب عدد من تفطرهم، وكذلك يُقال في يوم عاشوراء الذي يُكَفَّر به سنة من الذنوب، فضلًا من رب العالمين عليك.

الفرع الرابع: استدراك الزكاة والصدقة:

أَعْلَمَ الحديثُ المتقدمُ في صدرِ الفرع الفائت أنَّ الزكاة تستدرك بالصدقات التطوعية.

وتقدم أنَّ من سُبُلِ الاستدراك التسبيحَ عقب الصلوات ومطلق التسبيح كذلك، وسأعيد الحديث وأذكر تمامه وما جاء في روايةٍ أخرى له حتى تكتمل الصورة إن شاء الله.

فقد أخرج **مسلم** في صحيحه عَن **أَبِي هُرَيْرَةَ** ﷺ أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ الله ﷺ فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ[2] بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَقَالَ: «وَمَا ذَاكَ» قَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ، وَيُعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَفَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ

(١) سنن الترمذي، رقم الحديث: (٨٠٧)، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (١٧٤٦) واللفظ لابن ماجه.
(٢) جمع دثر، وهو المال العظيم. انظر: شرح النووي على مسلم (٥/ ٩٢).

مَا صَنَعْتُمْ»؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً**»، قَالَ **أَبُو صَالِحٍ**: فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ[1]، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**»[2]!.

وجاء في الرواية الأخرى: قَالَ: «**أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ الله لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؛ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ..**»[3].

فيمكن للفقير بذلك أن يُكثِرَ من التسبيح وما بعده حتى يبلغ ما بلغ الغني، والإنسان لا يملك إلا أن يقول بعد هذا الفضل المدهش: كثر خيرُ الله وطاب!.

وإنَّ هذا الباب من أعظم الأبواب التي يستدرك بها الإنسان ما فاته من الصدقات، ولو بلغت الملايين، عبر ترطيب اللسان بذكر الله ﷻ، وشيوع ثقافة إصلاح المجتمع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

واعلم أنَّ تسميةَ هذه الأعمال بالصدقة؛ لأن لها أجرًا كما أن للصدقة أجرًا، وأن **هذه الطاعات تماثل الصدقات في الأجور**، على أنَّ الثواب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أكثر منه في التسبيح والتحميد والتهليل؛ لأنَّ ذلك فرض كفاية وقد يتعين، والتسبيح والتحميد والتهليل نوافل، ومعلومٌ أنَّ أجر الفرض أعظم من أجر النفل[4].

(١) يستفاد من ذلك أنَّ بعضَ الناس يحرص أن يسبق في كل الأبواب، ولا يجعل أحدًا يدركه؛ فإن أغنياء الصحابة هنا ما قالوا: إن هذا العمل خاصٌّ بالفقراء، وإنما دخلوا معهم واقتحموا عليهم. انظر: شرح الأربعين النووية للشيخ عطية سالم (٥٦/ ٨) والرقم الأول رقم الشريط المُفرَّغ.
(٢) صحيح مسلم، رقم الحديث: (١٣٧٥).
(٣) صحيح مسلم، رقم الحديث: (٢٣٧٦).
(٤) شرح النووي على مسلم (٧/ ٩١-٩٢).

الفرع الخامس: استدراك الحج والعمرة:

يمكن لمن تَعَذَّرَ عليه الحجُّ أو تعسر ورام أجره أن يستدركه بجملةٍ من الأعمال، منها الخمسة الآتية:

١) **قصد المسجد بالصلاة**؛ لما أخرج **أبو داود** عَنْ **أَبِي أُمَامَةَ** رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُتَطَهِّرًا إِلَى صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْحَاجِّ الْمُحْرِمِ، وَمَنْ خَرَجَ إِلَى تَسْبِيحِ الضُّحَى لاَ يُنْصِبُهُ إِلاَّ إِيَّاهُ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْمُعْتَمِرِ، ..»[١]. حسنه الألباني. وقوله: «لاَ يُنْصِبُهُ إِلاَّ إِيَّاهُ»؛ أي: لا يحمله على الخروج إلى صلاة الضحى إلا ذلك[٢][٣].

وقريبٌ منه ما أخرج **الطبراني** عن **أبي أمامة الباهلي** رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَن مَشَى إِلَى صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ فِي الجَمَاعَةِ فَهِيَ كَحَجَّةٍ، وَمَنْ مَشَى إِلَى صَلاةِ تَطوُّعٍ فَهِي كَعُمرَةٍ تَامَّة»[٤]. حسنه الألباني.

٢) **الجلوس في المسجد حتى شروق الشمس للذِّكر**؛ لما أخرج **الترمذي** عن **أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ الله حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ،

---

(١) سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥٥٨).

(٢) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للرحماني المباركفوري (٢/ ٤٤١).

(٣) يقول الشيخ عبد المحسن العباد: متقررٌ أن أداء صلاة النافلة في البيت أعظم أجرًا من أدائها في المسجد، لقول النبي ﷺ: «أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة» أخرجه البخاري، وفي هذا الحديث ذكر الذهاب إلى المسجد من أجل صلاة النافلة، فمن أهل العلم من قال: إن ذلك قد يكون فيه استثناء لتلك الصلاة؛ بأن تكون في المسجد، ولها ذلك الفضل العظيم، ويمكن أن يقال: إنها إذا أُدِّيت في المسجد كان لها ذلك الفضل، لكن من صلاها في البيت كان أفضل وأعظم أجرًا للحديث المتقدم. انظر: شرح سنن أبي داود (٣/ ٤٦٩). قلت: أطال بعض الشراح في الجمع بين الحديثين، وما تسطر هنا كفاية، ولا بأس بأن يقصد المسلمُ المسجدَ أحيانًا لفعل ذلك؛ احتياطًا لنيل هذا الفضل الذي لا ينبغي أن يفوت.

(٤) مسند الشاميين (٢/ ٣٨٦).

قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ الله ﷺ «تَامَّـةٍ تَامّـةٍ تَامَّـةٍ»[1]. حسـنه الألبـاني.

وقولـه: «ثُـمَّ قَعَـدَ يَذْكُـرُ الله»؛ أي: استمر في مكانـه ومسـجده الـذي صلى فيـه، فـلا ينافيه القيام لطوافٍ أو لطلب علم، أو مجلس وعظ في المسجد[2].

وكـم عرفنـا إخـوةً كرامًا يحافظـون على هـذه الجلسـة مـن سـنواتٍ، لا تـكاد تضيـع عليهـم مـرة واحـدة في السـنة، فيُرجـى لمـن فعـل ذلـك أن يسـتفتح يومـه بمغفـرة تبـدد سـيئاته، يعـود بهـا مـن المسـجد كيـوم ولدتـه أمـه كالحـاج المُحـرم، وفضـل الله واسـع.

٣) الذهـاب للمسـجد بنيـة التعلـم أو التعليـم؛ لمـا أخـرج الطـبراني أن النبـي ﷺ قـال: «مَـن غَـدَا إلى المَسْـجِدِ لا يُريـد إلا أن يتعلَّـمَ خـيرًا أو يُعَلِّمَـه.. كَانَ لـه كَأجْـرِ حَـاجٍّ تامًّـا حجَّتُـه»[3]. حسَّـنَهُ الألبـاني.

وهـذا الحديـث فيـه حـثٌّ للمسـلم أن يقصـد المسـجد بنيـة سـماع العلـم، ولا يضجـر مـن ذلـك، وفيـه حـثٌّ كذلـك لمـن آتـاه الله علـمًا أن يقصـد المسـجد بنيـة تعليـم العلـم، وألا يضجـر مـن كثـرة السـائلين لـه في المسـاجد؛ فـإن الله تعـالى يعطـي كلًّا منهـما أجـر حجـة وافيـة متـى احتسـبا ذلـك.

٤) العمـرة في رمضـان؛ لمـا روى البخـاريُّ ومسـلمٌ عَـنْ ابْـنِ عَبَّـاس رضي الله عنهما قَـالَ: لَمَّـا رَجَـعَ النَّبِـيُّ ﷺ مِـنْ حَجَّتِـهِ قَـالَ لِأُمِّ سِـنَانٍ الْأَنْصَارِيَّـةِ: «مَـا مَنَعَـكِ مِـنْ الْحَـجِّ»؟ قَالَـتْ: أَبُـو فُـلَانٍ -تَعْنِـي زَوْجَهَـا- كَانَ لَـهُ نَاضِحَـانِ[4]، حَـجَّ عَـلَى أَحَدِهِمَـا وَالْآخَـرُ يَسْـقِي أَرْضًـا لَنَـا، قَـالَ: «فَـإِنَّ عُمْـرَةً فِي رَمَضَـانَ تَقْـضِي حَجَّـةً مَعِـي»[5]؛ أي في الثـواب والجـزاء

---

(١) سنن الترمذي، رقم الحديث: (٥٨٦).
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري (٤/ ٥٧).
(٣) الطبراني/ مسند الشاميين، رقم الحديث: (٤٢٣).
(٤) الناقة التي يسقى عليها الماء.
(٥) صحيح البخاري، رقم الحديث: (١٨٦٣)، صحيح مسلم، رقم الحديث: (٣٠٩٨).

لا في الكفاية والإجزاء، فلا تقوم هذه العمرة مقام حجة الإسلام[١].

٥) الصلاة بمسجد قباء؛ لما أخرج **الترمذي** عن **أسيد بن ظهير** الأنصاري أن النبي ﷺ قال: «**الصَّلَاةُ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ كَعُمْرَةٍ**»[٢]. صححه الألباني.

وعند **الطبراني** من رواية **سهل بن حنيف** رضي الله عنه بإسنادٍ حسنٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**مَن تَوَضَّأَ فَأحسَنَ الوضوءَ ثُمَّ صَلَّى فِي مَسجِدِ قُبَاء ركعتين كَانت له عُمْرَةً**»[٣].

فالصَّلاةُ الواحدةُ فيه تعدل عمرة، وهذا من فضل الله.

وكثيرًا ما تساءلت عن سِرِّ اختصاص نوعٍ من العبادة بأجرِ نوعٍ آخر من العبادة على وجه التحديد كما الحال هنا، حتى قرأت قولًا لابن عبد البر يقول فيه: **والفضائل لا تدرك بقياس، ولا مدخل فيها للنظر، وإنما فيها التسليم والتعلم والشكر**[٤].



(١) انظر شرح النووي على مسلم (٩/ ٢).
(٢) سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٢٤).
(٣) المعجم الكبير، رقم الحديث: (٥٥٦١).
(٤) التمهيد لابن عبد البر (١٤/ ١٣٧) (١٩/ ١٨).

المطلب الثالث

الاستدراك في الجانب الفقهي

تقدم أنَّ الاستدراكَ يأتي بمعنى إصلاح الأمر، وتلافي ما فيه من خطأٍ أو نقص، وبمعنى تدارك ما فات تعويضًا له، وكلا المعنيين حاضرٌ بوفرةٍ في الفروع الفقهية.

أما عن الاستدراك بالمعنى الأول:

فإنَّ الشريعةَ أتاحت الفرصةَ في كثيرٍ من الصور لاستدراك النقص الحاصل في العبادات التي لها أوضاع شرعية مقررة، ومن وسائل ذلك الأمور الأربعة الآتية:

١) سجود السهو: وهذا يُستدركُ به الخللُ الحاصلُ في الأقوال أو الأفعال في الصلاة في بعض الأحوال؛ كما لو نسي التشهد الأول.

٢) الإعادة: فإذا تبيَّنَ حصولُ خطأٍ في الصَّلاةِ مبطلٍ لها مثلًا قبل أن يخرج وقتها، فإنَّهُ يعيدها صحيحةً في الوقت أداءً.

٣) القضاء: فمن لم يفعل العبادة لعذرٍ ما قضاها؛ كما لو نسي الصلاة أو نام عنها؛ لما روى البخاري ومسلم عن **أنس بن مالك** رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ نَسِيَ صَلاَةً فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا، لا كَفَّارَةَ لَهَا إلا ذَلِك**»[1].

وأخرج **أبو داود** في سننه من حديث **أَبِي سَعِيدٍ** رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:

(١) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٥٩٧)، صحيح مسلم، رقم الحديث: (١٥٩٨) واللفظ لمسلم.

«مَنْ نَامَ عَنْ وِتْرِهِ أَوْ نَسِيَهُ فَلْيُصَلِّهِ إِذَا ذَكَرَهُ»[١] صححه الألباني.

وكذلك يقال في الصوم والحج ونحوهما، فمتى تضمنت العبادة مُبطلًا لها.. وجب قضاؤها.

٤) الفدية: وهذه تكون مخرجًا شرعيًّا في جملةٍ من الظروف؛ كما لو كان الرجل عاجزًا عن أداء العبادة، كما لو أفطر في رمضان لشيخوخةٍ يعجز معها عن الصيام، أو كان قادرًا على العبادة، لكن وقتها خرج، ولم تتح الشريعة قضاءً لها؛ كرجل ترك رمي الجمار بمِنى حتى انتهت أيام التشريق، أو أن يقترف مُحَرَّمًا في العبادة؛ كما لو قص شعره أو أظفاره أثناء إحرامه بالحج أو العمرة، وفديةُ كل شيءٍ بحسبه.

وأما الاستدراك بالمعنى الثاني:

فإنَّ الشريعةَ أتاحت في كثيرٍ من المواضع فرصة الاستدراك لما فات؛ تعويضًا له، وتحصيلًا لأجره، ومن وسائل ذلك الأمور الأربعة الآتية:

١) الإعادة: والمقصود بها هنا الصلاة المكتوبة المؤداة في جماعة، فمن صلى الفرض منفردًا، ثم توفرت له جماعةٌ، فيمكن أن يستدرك أجر صلاة الجماعة بإعادة الصلاة من جديد، ولهذه الصلاة شروطٌ كثيرةٌ تُطلب من المصنفات الفقهية[٢].

٢) قضاء السنن الفائتة: فإنَّ قضاءَ السُّنَّةِ سُنَّة، كما أنَّ قضاءَ الفرضِ فرض، ومن أدلة ذلك أنَّ النبيَّ ﷺ قضى السُّنَّةَ البعديَّةَ لصلاة الظهر بعد العصر لما انشغل عنهما بوفد عبد القيس عندما أتوه بالإسلام من قومهم كما في الصحيحين[٣]،

---

(١) سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٤٣٣).
(٢) انظر تلك الشروط مثلاً في كتاب «كاشفة السجا شرح سفينة النجا» للجاوي (٣٢٦-٣٣٠)، و«غاية المنى شرح سفينة النجا» للدوعني ص (٣٩٧-٣٩٨).
(٣) انظر: صحيح البخاري، رقم الحديث: (٤٣٧٠)، صحيح مسلم، رقم الحديث: (١٩٧٠).

وعقَّب **النووي** على ذلك بأنَّ **السننَ الراتبة إذا فاتت يستحب قضاؤها**[١].

٣) ذكر التسمية فيما لو نسيها عند أول الطعام، فقد أخرج أصحاب السنن إلا النسائي عَنْ **عَائِشَةَ** ﵂ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسْمَ الله تَعَالَى، فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ الله تَعَالَى فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ: بِسْمِ الله أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ**»[٢]. صححه الألباني.

وذكر **الشافعية** أنَّ من نسي التسمية في أول الوضوء وذكرها في أثنائه.. أتى بها كما لو نسي التسمية في ابتداء الأكل؛ وذلك حتى لا يخلو الوضوء من اسم الله ﷻ[٣].

٤) الوصية: وهي تدور على استدراك الإنسان ما فاته في حياته قبيل وفاته، فإذا شعر أنَّ الأجلَ قد دنا منه.. فإنَّ له أن يوصي بثلث ممتلكاته أن تُنفَقَ في مصارف الخير؛ كبناء المساجد والمشافي والمدارس ورعاية الأيتام وغيرها.

وفي الصحيحين عَنْ **عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ** ﵄ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ**»[٤].

والحق أنَّ باب الاستدراك الفقهي واسعٌ جدًّا، وفروعه تبلغ نصابًا يستحق أن يُفرد برسالةٍ علميَّةٍ إن لم يكن الموضوع قد طُرِقَ بحثًا من قبل.

والله الموفق.

(١) شرح النووي على مسلم (٦/ ١٢١).
(٢) سنن أبي داود، رقم الحديث: (٣٧٦٩)، سنن الترمذي، رقم الحديث: (١٨٥٨)، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٢٦٤) واللفظ لأبي داود.
(٣) الشرح الكبير للرافعي (١/ ٣٩٢)، المجموع شرح المهذب للنووي (١/ ٣٤٤).
(٤) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٢٧٣٨)، صحيح مسلم، رقم الحديث: (٤٢٩١).

المطلب الرابع

الاستدراك في الجانب العلمي[١]

كثيرٌ من طلبة العلم تكتمل مداركُهُ العقلية بعد أن يقطع شوطًا في طلب العلم، فإذا نظر إلى السَّنوات التي مضت له في الطلب، ونظر إلى حجم الضبط والإنجاز العلمي الذي هو عليه ولاحظ الفرق.. نزل به الهمُّ والغم، وتمنى أن لو كان يحمل هذه التصورات الصحيحة منذ بداية الطلب، وأخذ يتساءل ما الحل؟!.

وربما كان قد تصدَّر للناس في وعظٍ أو تفقيه، وأدرك عدم اكتمال أهليته لذلك، ورغب في العزلة قليلًا ليتمم مواطن النقص، لكن المجتمع يضغط عليه للبقاء فيما هو فيه من التصدر، وعند ذلك يحتار ويتساءل ما الحل؟!.

وآخر مهتمٌّ بتخصصٍ ما، وأجبره أهله على غيره، وضاعت منه سنوات، لا هو بالذي أبدع فيما درس، ولا هو سلك الطريق التي أحب، وبعد أن أرضى أهله يريد أن يبدأ في تنفيذ رغبته من جديد، لكن يتساءل بعد السنوات التي فاتت ما الحل؟!.

أو لعله درس التخصص الذي يريد، لكنه انشغل عن الدراسة بأعمالٍ وظيفيةٍ أو دعويةٍ أو جهادية، أو مَسَّهُ الكسل، أو لم يستمر فيها لعدم توفر الرسوم الدراسية، وبعد مضي سنواتٍ وسنوات قرر أن يبدأ بحزمٍ شديد وعزم أكيد، لكنه يتساءل ما الحل؟!.

(١) جعلت الكلام هنا لصيقًا بالعلم الشرعي، ليستقيم السياق، وكل صاحب تخصص آخر يأخذ الفكرة ويطبقها على تخصصه.

إنَّ الحلَّ لهذه العيِّنات وما شابهها يكشفه عنوان المطلب، فالاستدراك هو الحل، ولكنَّ سؤالَ هؤلاء يتضمن سؤالًا أعمق وأدق مفاده: **كيف أستدرك على نفسي بالضبط؟**، فهو يسأل عن خريطة المسير لا عن العنوان فحسب.

وقبل الإدلاء بالإجابة عن هذا السؤال المهم أحب أن أبين أنَّ النبوغَ في العلم والرسوخ فيه أمرٌ مستطاع، وليس هو بالأمر المحال، ولا يحتاج إلا بضع سنوات لمن حسنت همته، ونبوغ عدد من الأئمة كذلك قديمًا وحديثًا خيرُ شاهدٍ على ذلك، لكن الأمر تَضَخَّمَ عند المعاصرين لما تخلوا عن المنهجياتِ القويمةِ التي تُبَلِّغُ السالك في أخصر وقت.

فهذا الصحابيُّ الجليل **معاذ بن جبل** رضي الله عنه يستحق لقلب **«أعلم الأمة بالحلال والحرام»**، وما عاش في الإسلام إلا عشر سنوات، ومات هو ابن ثمانية وعشرين عامًا!.

وهذا سيبويه إمام النحاة إلى يوم القيامة، كتب كتابه الشهير في النحو، لم يسبقه مثله ولم يلحقه مثله، والعجيب أنه ليس بعربي؛ بل فارسي، ومات وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة على المشهور!، واليوم كثيرٌ من طلبة العلم هم من العرب، ويتكلمون بالعربية، ويعدون النحو من العلوم الصعبة، وإنما أُتُوا من جهة سوء عرض مادة هذا العلم، وإلا فإدراكه هيِّنٌ بحق، وليس هذا المقام بمقام بيان ذلك[1].

وتصدى **الشافعي** للإفتاء بإجازةٍ من أعلم أهل الأرض يومها وهو الإمام مالك، وهو ابن خمسة عشر عامًا!.

---

(١) كنت قد كتبت خطة علمية متكاملة بعنوان: «**المعراج العلمي المقترح لطلب العلوم الشرعية**»، وكانت أشبه بمذكراتٍ شخصية، وشاء الله أن تنتشر بين عددٍ من طلبة العلم، وفي النية إعادة كتابتها ونشرها يسَّر الله ذلك، وقد تضمنت خطة دراسة علم النحو وغيره من العلوم الشرعية.

و**أبـو حنيفـة النعـمان** بـدأ يطلـب العلـم بعـد الثلاثـين، حتـى بلـغ فيـه الغايـة، وأصبـح صاحـب أول مذهـب فقهـي مكتمـل، واتبعـه النـاس بعـد ذلـك، مـع أنَّ أبـا حنيفـة رجـلٌ فـارسي!.

وهـذا **العـز بـن عبـد السـلام** صاحـب الكتـاب العظيـم الـذي لم يُسبق بمثلـه، وكان طفـرةً علميـةً في بابـه، وهـو كتـاب «قواعـد الأحـكام في مصالـح الأنـام».. بـدأ يطلـب العلـم بعـد الثلاثـين كذلـك، وفتـح الله عليـه وأعطـاه حتـى بلـغ مـا بلـغ، ومـا وقـف أحـدٌ ببـاب الله إلا وأعطـاه، وإذا أعطـى الله أدهـش!.

وهــذا **النــووي** صاحـب الكتـب المُقدَّمـة في أكثـر العلـوم؛ كالأربعـين النوويـة وريـاض الصالحـين وشرحـه عـلى صحيـح **مسـلم**، وكتابـه «منهـاج الطالبـين» في الفقـه، وشرحـه عـلى المُهَـذَّب **للشـيرازي** المُسـمَّى بالمجمـوع، وغـير ذلـك ممـا يعـد مرجعيـةً للعلـماء الكبـار فضـلًا عـن الطلبـة الصغـار.. يمـوت ولـه مـن العمـر خمسـةٌ وأربعـون عامًـا وقـد بـدأ التأليـف وهـو ابـن خمسـة وعشريـن عامًـا، نبـغ صغـيرًا، ومـات إمامًـا كبـيرًا، وأعانـه عـلى ذلـك بعـد عـون الله أنـه **جعـل تحصيلـه تصنيفًـا، وتصنيفـه تحصيـلًا**[1]، بمعنـى أنـه كان يـدرس المسـائل ويحققهـا، ويُـدَوِّن مـا يُحَصِّلُـه في شـكل مُؤَلَّـفٍ محـرَّر، وبانتهائـه مـن العلـم الـذي يريـد التحصيـل فيـه يكـون قـد أخـرج كتابًـا نفيسًـا محققًـا محـررًا!.

ومـن بعـده جـاء **ابـن القيـم**، الـذي كان تائهًـا في أوديـة الفـرق البدعيـة، متأثـرًا بهـا، حتـى جالسـه شـيخ الإسـلام **ابـن تيميـة**، فأقنعـه وردَّه إلى سـبيل الهـدى بفضـل الله، فنشـط في طلـب العلـم، واعتكـف عليـه، ولازم شـيخه **ابـن تيميـة** سـتة عـشر عامًـا حتـى مـات، وأصبـح **ابـن القيـم** إمامًـا مـن أئمـــة الإسـلام الكبـار، وقـــد سـجَّل ذلـك في نونيتـه يحـذر فيهـا مـن الأفـكار البدعيـة، ويمـدح شـيخه **ابـن تيميـة** الحـراني

(١) مسلكيات للشيخ إبراهيم السكران ص (٧٢) وما بعدها.

بقولـه:

يا قـوم والله العظيـم نصيحـــةٌ   من مشفقٍ وأخٍ لكم معــــوانِ

جرَّبْتُ هـذا كله ووقعـت فـــي   تلك الشباك وكنت ذا طيــران

حتى أتـاح لي الإلـــــه بفضلـه   من ليس تجزيه يدي ولسانــي

حبـرٌ أتـى من أرض حران فيــا   أهلا بمـن جـــاء من حـــران

فالله يجزيــــه الذي هـو أهلـه   من جنة المأوى مع الرضـــوان

أخذت يداه يدي وسـار فلم يـرم   حتى أرانـــي مطلع الإيمـــان

ورأيـت أعلام المدينـــة حولها   نزل الهدى وعســـاكر القرآن

ورأيت آثـــارًا عظيمًا شأنها   محجوبة عن زمرة العميـــان

ووردت رأس الماء أبيض صافيا   حصباؤه كلآلـئ التيجـــان[(١)]

وفي زمانـنا هـذا ممـن نبـغ مبكـرًا، وهـو رأسٌ في الأُمَّة اليـوم شـيخنا العلامـة **محمد الحسـن** ولـد **الـددو الشـنقيطي**، والشـيخ **عبـد العزيـز الطريفـي** -فـرَّج الله عنـه-، وملاحقـة تراثهـا العلمـي المبثـوث نافـعٌ جـدًّا.

إذن يمكـن لـمـن فاتـت عليـه سـنوات، واسـتيقظ عـلى نفسـه متأخـرًا أن يسـتدرك حتـى يصـل، ولا مُسـوِّغ لفقـد الأمـل.

ومـن الشـكاوى المكـرورة أن يقـول لـك طالـبُ العلـم: لقـد فاتتـني مرحلـة الذاكـرة القويـة، ولا قـدرة عنـدي عـلى حفـظ المتـون التـي هـي بمنزلـة الأصـول التـي يبنـي الطالـب عليهـا صرحَـه العلمـي، وبالتـالي لا أمـل في الوصـول، وللجـواب عـن هـذا أقـول:

مـع الشـك في دِقَّـة هـذا الـكلام -وأنـه يمكـن الاسـتدراك فيـه بكثـرة التكـرار بـما لا يقـل عـن خمسـين مـرة للنـص المـراد حفظـه، تتـوزع عـلى أكثـر مـن جلسـة، بالإضافـةِ

(١) متن القصيدة النونية لابن القيم ص (١٤٣).

للمراجعة الأسبوعية[١]- إلا أنَّ ما يُمكِنُ الانتباه إليه هو أن من تقدَّمت به السن قد ازداد عقلًا وفهمًا، **ولئن تعسَّر عليه الحفظ الحرفي فقد تيسر له الحفظ المعنوي**، فيمكن أن يحفظ المتن على شكل شجرة، وتكون من عبارته هو، ويوغل في فهمها، ويُكثر من التقسيمات فيها، وهو الذي يُعبِّر بلسانه ويقول مثلًا: هذا العلم محاوره أربعة، والمحور الأول فيه كذا وكذا من الأبواب، وهذا الباب فيه كذا وكذا من المسائل، وهكذا..

فيجعل مادة هذا العلم منظومةً واحدة، ويكررها دومًا، ثم يأتي إلى مسائل العلم فيكررها، وإلى الكتاب الذي عليه التعويل ويكرره عدة مرات، حتى يستحضر المسائل وكأن الكتابَ أمام عينيه، لكنَّ العبارةَ منه، ومع كثرة النظر في كتب أهل العلم تصبح عبارتُهُ رصينةً بليغة، فما فاته من قوة الذاكرة يكون قد حصَّل مثله وأحسن منه بقوة الفهم، وإمكانية الربط بين الفروع والمسائل.

والآن.. فلنلو عنان القلم إلى جواب السؤال المطروح: كيف أستدرك على نفسي؟.

وأجيب في نقاطٍ سبعٍ على وجهٍ مختصر؛ لأنَّ الكتابَ يتولى التنظيرَ لفكرةِ الاستدراك أكثر من التفصيل فيها.

١) **المبالغة في الإلحاح على الله ﷻ بالدعاء أن يفتح لك باب العلم**، ويهبك التوفيق والإعانة والإخلاص له في النية، وما ينبغي لعاقلٍ أن يتهاون في هذا الأمر، وللإمام **العز بن عبد السلام** في كتابه المذكور آنفًا «قواعد الأحكام» كلمةٌ

---

(١) كتبت طريقة مفصلة في حفظ القرآن الكريم، فيها علاج أكثر الآفات التي تُطرح في الباب، وهي منشورةٌ على موقع الألوكة، وكذلك على قناة التليغرام، والقناة باسم: «محمد بن محمد الأسطل»، والخطة مدرجة في «**المعراج العلمي المقترح لطلب العلوم الشرعية**» الذي تقدمت الإشارة إليه، والمنطق الذي قامت عليه خطة حفظ القرآن الكريم هو نفسه الذي تقوم عليه خطة حفظ المتون.

فذَّة نصها: **والله لن يصل أحدٌ إلى شيءٍ إلا بالله، فكيف يُوصل إلى الله بغير الله**[1]!.

والحق أنَّ التركيز على الدعاء مهمٌّ لمن رام الاستدراك العلمي وغيره، سواء كان في شأن الدين أو الدنيا، فالتضرع لله والإلحاح عليه له أثرٌ عجيبٌ في استمطار التوفيق الإلهي على قلبك وعامة شأنك، بل ينبغي للعبد أن يتعامل مع الدعاء كما يتعامل الرضيع مع ضرع أمه؛ فإنه يعلم أن نجاته فيه، وهلاكه في تركه، وكذلك المتضرع لربه يعلم أنه لو ترك التضرع فإنه يهلك، ولو تمسك به نجا..

يقول **الراغب الأصفهاني**: أصل الضرع ضرعُ الناقة والشاة وغيرهما، ويقال: ضَرَع البُهم؛ أي تناول ضرع أمه، ومنه قيل: ضرع الرجل ضراعة؛ أي: ضعف وذل، فإذا تضرع فقد أظهر الضراعة[2].

٢) التخفف من الشواغل، ومتابعة وسائل التواصل، وكذلك التخفف من التصدر العلمي، وذلك كانسحابٍ تكتيكيٍّ من المشهد، وهو النجاةُ بعينها في العُرف العسكري، والأمر أهون في التصدر الوعظي[3]، **ويبقى كذلك حتى يُحصِّل من العلم نصابًا تجب فيه الزكاة**، فعندئذٍ يقوم بنشر العلم، والرجاءُ أن يُفتح له فيه.

ومن المشايخ الذين اشتغلوا بتأسيس أنفسهم، ولما اكتمل بناؤهم العلمي ظهروا فجأة الشيخ **عبد العزيز الطريفي** -فرج الله عنه-، والشيخ **محمد بن محمد المختار الشنقيطي**، والشيخ **عبد الكريم الخضير**، وانظر كم نفع الله بهم في الناس!.

---

(١) قواعد الأحكام لابن عبد السلام (١/ ١٨).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص (٥٠٦).

(٣) مع التيقظ إلى أنَّ المجتمع قد يجره إلى الساحة العلمية من البوابة الوعظية، بالإضافة إلى خطر الوعظ نفسه؛ فكم من مفاهيم قاتلة تُشَكِّلُ اليوم حالةً ثقافيةً عامة هي في الأساس نتاج مادة وعظية غير صائبة، وكلما تقدم الطالب في الطلب أدرك أن الكلام في الوعظ هو عبارة عن فتيا وعظية قد لا تقل خطرًا عن الفتيا الفقهية.

٣) الانطلاق من الوحي، فتحفظ القرآن كله أو جُلَّه، وتضبطه ضبطًا محكمًا، وتكثر النظر في متون السنة؛ كالكتب الستة ونحوها، وتبدأ رحلة تحصيل المفاهيم والأفكار والقواعد من الوحي، وتربط به المسائل والعلوم، فالوحي معيار الحق وميزان الهدى، فيختصر لك تحقيق كثيرٍ من المسائل الشائكة، وكم من معضلةٍ وجدت أبناء العصر يحتارون فيها وهي منطوقةٌ في النصوص، فضلًا عما في الوحي من بركة، وكلما تَعَلَّقْتَ به ظهرت البركةُ في علمك وكلامك، وهذا البند للعلم والعمل وليس للتبرك فحسب كما قد يُظَن.

٤) الانكباب على علمٍ واحدٍ والإحاطة به: فإنَّ الطريقة السائدة من أنَّ الطالب يدرس عددًا من العلوم في آنٍ واحد، ويتابع في الدروس؛ بحيث يمكث في الكتاب الواحد بضعة أشهر أو سنين لا تصلح لمن قصد الاستدراك، وإنما الذي يتوجه أن يَنْكَبَّ على العلم الذي يريد تحصيله، وينصرف إليه بكلِّيَته، فإذا انتهى منه أو من قطعةٍ وافية منه تحول إلى غيره.

وذلك بأن يعمد إلى أهم متنٍ أو كتابٍ مختصرٍ في هذا العلم، ويقرؤه في يومٍ واحد أو يومين، ثم يأتي إلى شرحٍ له، يكون مختصرًا لكنه وافٍ، فيقرؤه في أيام قليلة، ولا ينتظر الدروس الخاصة؛ بل يُفتش في الشبكة عن الشروح المُسجَّلة، وينزل عدة سلاسل صوتية في شرح كتب هذا العلم، ويقوم بسماعها، وتدوين ما يحتاجه منها.

وفي هذه الأيام يكون مُهتمًّا بتكوين الخريطة العامة لهذا العلم؛ فيعرف مثلًا أنَّ علمَ التفسير منه التحليلي والموضوعي والفقهي واللغوي والتربوي والذي يهتم بالمناسبات.. إلخ، ويعرف مثلًا أنَّ علم السُّنَّةِ يتضمن علم المصطلح والجرح والتعديل والعلل وشروح السنة.. إلخ، وأنَّ الفقه منه المذهبي والمقارن وتفسير آيات الأحكام وأحاديث الأحكام والقواعد الفقهية والنوازل.. إلخ، ومن ثم يبدأ بدراسة كل جانب على حدة في خطةٍ زمنيةٍ واضحة المعالم.

وهـذا المنهـج يتـم اعتـماده داخـل العلـم الواحـد؛ بـل الجـزء الواحـد مـن العلـم، فلـو أراد أن يقـرأ فقـه الحـج مثـلًا فليُحِـطِ النظـر فيـه مـن جوانبـه؛ فيقـرأ كتابًـا في الكيفيـة، وكتابًـا في الأحـكام الفقهيـة، وكتابًـا في الأسرار والمقاصـد المرعيـة، وهكـذا.

وهـو في كل ذلـك يجمـع بيـن التـزام مجالـس أهـل العلـم، والقـراءة الفرديـة، وسـماع السلاسـل الصوتيـة، ومذاكـرة الأقـران، وكلـما اجتمـع عنـده مقـدارٌ مـن الأسـئلة المُشـكِلِة توجـه لخبيرٍ بالفـن وجالسـه واسـتفاد منـه.

وهـذه الطريقـة تجعـل الطالـب ينتهـي مـن كتـب المرحلـة الأولى والثانيـة مـن العلـم في فـترةٍ وجيـزةٍ جـدًّا، ليتأهـل بعدهـا للنظـر في المطـولات.

ويلـزم التنويـه هنـا إلى تحتـم التـدرج في الطلـب، فعامـة العلـوم يمكـن تقسـيم كتبهـا إلى ثـلاث مراحـل: كتـب للمبتـدئ، وكتـب للمتوسـط، وكتـب للمُنتهي[1]، والتأسـيس كامـنٌ في الأولى، ثـم الثانيـة، أمـا الثالثـة فهـي للبسـط وملاحقـة تفصيـلات هـذا العلـم.

والطالـب الـذي يقصـد المطـولات مبـاشرة فقـد فاتـه التأسـيس والتأصيـل، ولهـذا يجـد نفسـه يتعـب كثـيرًا ويحصـل قليـلًا، ولا شـك في أنَّ الـذي أنجـز المرحلـة الأولى بحقهـا أقـوى مـن الـذي يعـاني في كتـب المرحلـة الثالثـة، فـلا داعـي للتعجـل، وإني لأخشـى أن تكـون نيـة المتعجـل مدخولـة، ومـن تعجـل الـشيء قبـل أوانـه عوقـب بحرمانـه، فكيـف إذا خانتـه النيـة!.

وهنـاك نقطـةٌ مهمـةٌ يحسـن إدراكهـا جيـدًا؛ وهـي أن **المعيـار اليـوم في إنجـاز الأعـمال ليـس بعـدد الأسـابيع والشـهور والسـنوات؛ وإنـما بعـدد السـاعات..**

فقـد يقـول لـك طالـب علـم: إننـي أسـتطيع أن أنتهـي مـن سـماع هـذه السلسـلة المكونـة مـن سـتين شريطًـا في شـهرين، بحيـث أخصـص في كل يـوم سـاعةً مـن الزمـن

(١) انظر «المعراج العلمي المقترح في العلوم الشرعية» وتقدمت الإشارة إليه غير مرة.

لسماع شريط منها، بينما يقول آخر: إنني أقدر أن أُفَرِّغَ من وقتي كلَّ يوم ست ساعات مع التركيز، فأنتهي في عشرة أيام!.

وبمثل هذا قل في كتابة الرسائل العلمية؛ فتجد طالبًا يقول: أحتاج إلى سنةٍ كاملةٍ لكتابة رسالة الماجستير، وقدرته أن يشتغل بالبحث العلمي كل يوم ثلاث ساعات، فباللغة الرقمية تحتاج رسالته إلى ١٠٨٠ ساعة، بينما تجد طالبًا آخر يجمع بين الجد والتفرغ يقول: أستطيع أن أشتغل في البحث ١٢ ساعة كل يوم، فهذا ينتهي من كتابة رسالته في ثلاثة أشهر فقط، ويتفوق على الأول بحسن الأداء وجودة الإنتاج؛ لاستحضاره عامة ما في رسالته على الدوَّام من غير قواطع تشوش عليه.

وعليه؛ فإنَّ اعتمادَ المستدرِك لِوحدة السَّاعة في خطته أحسن له وأنفع، فبدل أن يرتبط ببرنامج يشرح متنًا في لقاء أسبوعي لمدة عشرين أسبوعًا، وتبقى أجزاء المادة متفرقة لا يقدر أن يتصور مجمل المادة بذلك.. فإنه يستمع لسلسلةٍ مُسَجَّلةٍ فيه، ويسمع العشرين شريطًا مثلًا في أربعة أيام أو خمسة، ويهضم المادة بذلك، ويصبح ذهابه للدرس للاستزادة من التفصيلات، وتثبيت ما ناله من قبل، والاستفادة من سمت الشيخ وأدبه وغير ذلك من المقاصد النافعة.

واستحضار هذا الأمر مهمٌّ عند كتابة المستدرِك لخُطَّته؛ وذلك أنَّ النَّاسَ يتفاوتون في نسبة الفراغ وطبيعة الأوراد، ومن هنا يُنصح طالب العلم أن يستثمر كل دقيقة في البناء العلمي، وإذا كان الشاب في مفتتح حياته يشتهي الوظيفة والتحصل على المال.. فإنه بعد الوظيفة يشتهي أن يعود به الزمان، ويستثمر كل دقيقة كان يمكن أن يتقدم فيها خطوةً من هدفه الذي ينشد، وغايته التي يقصد.

٥) ضبط العلم والتركيز فيه: بعد التجول في كتب الفن بنظام القراءة الجردية يكون الطالب قد التقط صورةً متكاملةً عن مسائل هذا العلم، وعرف الكتب

المعتمدة والمهمة فيه، فتأتي الآن مرحلةُ الضبط، فيرى متنًا مختصرًا ويحفظه بنظام الحفظ الحرفي أو المعنوي، والأول أحسن لمن استطاعه، ثم يعمد إلى شرحٍ له أو إلى كتابٍ يجمع أمهات مسائل هذا العلم، ويقوم بتكراره نحو عشر مرات حتى يستظهره تمامًا.

وإنَّ ضبطَ العلم هو الفرق الجوهري الأول الذي يتمايز به الطلاب، وما من ريبٍ عندي أنَّ الطالبَ الذي يضبط كتابًا ضبطًا مُحكمًا أنه أقوى من الذي يقرأ خمسة كتب في هذا الفن، والضبط يفتح له باب التركيز في دلالات المسائل، وملاحظة لوازمها، بحيث يدرك بعد زمن أنَّ **ما صرَّحت به الكتبُ المطولة بالعبارة حاضرٌ في الكتب المختصرة بالإشارة!.**

وسبحان الله العظيم! العلمُ الجديدُ له لذةٌ وفيه شهوة، والطَّالبُ يجد في ذلك من الانتعاش ما لا يجد في الضَّبطِ والمُراجعة، **ولهذا فإنَّ العلمَ الجديدَ إذا كان هو حظَّ النفسِ فإنَّ ضبط العلم هو حق الشريعة،** فالالتفات إليه أولى، لا سيما أن العبودية تظهر فيه ما لا تظهر في ذلك، وقد امتدح الله أهله إذ قال: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ [العنكبوت:٤٩]، وقال النبي ﷺ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثاً فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ**»(١) صححه الألباني.

ومن هنا وجدنا أئمة العلم أهلَ ضبطٍ وإتقان؛ فهذا المزني يقرأ كتاب الرسالة على مؤلفه الشافعي ثمانين مرة، ويكمل بنفسه العدد إلى خمسمائة مرة، والإمام النووي يطالع كتاب البسيط أربعمائة مرة، ويقع الكتاب في عشرة مجلدات.

ويمكن أن يدل على هذا المعنى أن الله تعالى كرر الأمر بالقراءة في أول ما أنزل من القرآن، فإنه قال جل شأنه: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢

---

(١) سنن الدارمي، رقم الحديث: (٢٣٦)، وجاء عند أبي داود والترمذي بلفظ قريب.

﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾ [العلق:١ - ٣] قال الشيخ **الطنطاوي**: كرر سبحانه الأمر بالقراءة لأنه من الملكات التي لا ترسخ في النفس إلا بالتكرار، والإعادة مرة فمرة[1].

ومن الشواهد المعاصرة ما حصل مع الشيخ أحمد سالم فإنه قال: قابلت طالبًا في السنة الثانية من الجامعة، فطرحنا بعض المسائل في النحو، وإذا به يتكلم فيها بملكةٍ عجيبة، ويُنَظِّر لعلم العربية بمقدرةٍ بديعة حتى أدهشني، وعجبت من هذه القوة العلمية الخارقة لطالبٍ ما زال في هذا العمر، فسألته عن الكتب التي يقرأ منها، فقال: إنه لما كان في الإعدادية تحصل على نُسخةٍ من كتاب شرح ابن عقيل بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ولا يعرف في علم النحو كتابًا غيره، يقول: لكني أقرؤه دائمًا، وحاليًّا أقرؤه المرة السابعة بعد المائة!.

ولا يخفى أنَّ الكتاب في قراءته الأولى يحتاج مدة ما، والثانية نصفها، وبعد ذلك يعتاد ختم الكتاب كله في أيامٍ قليلة.

٦) **البدء بعلوم الآلة:** وأهمها اللغة من نحوٍ وصرفٍ وبلاغةٍ وفقه لغة، وأصول الفقه وأصول التفسير ومصطلح الحديث والقواعد الفقهية، وأهم المذكور اللغة وأصول الفقه، وهذه تحتاج نحوًا من سنتين لو تفرغ لذلك، ويبقى يتنعم بها طوال عمره، ومتى أتقنها الطالب أصبح قويًّا ولو كان شابًا صغيرًا، ومتى اشتغل بالعلم دونها فإنه يبقى ضعيفًا ولو أصبح شيخًا هرمًا، ومن العجب أني وجدت بعض المشتغلين بالعلم ما زال يناقش أهميتها، والله المستعان.

٧) **العناية بتكوين العقلية العلمية:** ومما يعين على ذلك: النظر في كتب المداخل لكل علم، ويفتش في الانترنت عن شروحٍ مُسَجَّلة في ذلك أيضًا، ويقرأ بعض

---

(١) تفسير الوسيط لسيد طنطاوي (١٥/ ٤٥٤).

أبواب المنطق كالحِجَاج والمغالطات المنطقية، فتعطيه قدرةً حسنةً على نقد الأفكار وفحصها، وينظر في الكتب الفكرية للمُفَكِّرين الذين لهم باعٌ حسن من مادة الوحي، ويطَّلع على كيفية إنتاج المعرفة في كل علم لحظةَ تأسيسه والكتابة فيه، فهذا يعينه على إنتاج المعرفة اللازمة لأبناء العصر.

والحقيقة أنَّ القراءةَ المُنتجة هي الفرق الجوهري الثاني الذي يتمايز به الطلاب، بحيث يتمكن الطالب أن ينتزع من الفكرة فكرةً، ومن الكتاب كتابًا، ولا يهتدي أحدٌ أن الثاني ولد الأول[1]، لكن هذا لا يتحصل للمبتدئ، وإنما يكون في المرحلة المتوسطة أو المنتهية، لكن التنبيه عليه في بداية الطلب يجعله يعي المحطات التي سيقطعها بإذن الله وفضله.

وإن طالب العلم متى اعتمد الوحي أصلًا للانطلاق، وانكب على العلوم واحدًا واحدًا، وأحاط به، وضبط مسائله، وأنجز علوم الآلة أولًا، واشتغل بصناعة عقلية له، وملكةٍ تحمله.. فإنه سيكون له شأن وأي شأن في هذه السبيل، متى أحسن الطَوِيَّة وأخلص النية لله تعالى.

ويمكن تطبيق الفكرة على أي علم يريد تحصيله، ولو لم يكن له اهتمامٌ سابقٌ به، كأن عُقِد درسٌ في علمٍ ما في مدينته، وقطع أصحابه شوطًا، وأحب أن يحسنه ويدرك أهله، فيقتني أهم الكتب فيه، ويفتش عن الشروح المسجلة عبر الشبكة، ويصاحب عددًا من الطلاب، وينكب عليه، ويرجع إلى المختصين فيه عند المُشْكِلات، فسيجد فضل الله كبيرًا عليه، ويتعجب من كمية غيث التوفيق الإلهي

---

(١) موضوع الكتاب لا يسمح بالتوسع في تقرير هذه النقطة المهمة، وعسى أن أفعل في مقام آخر، ولهذا يُنظر لزامًا لسلسلة «سؤال الثقافة» عبر الانترنت، وهي سلسلة حوارية من عشر حلقات مع الشيخ العلامة محمد محمد أبو موسى، وقد أتى فيها بما يحسن بكل طالب أن يطلع عليه ويضبطه، وقد تفضل أحد الإخوة وقام بتفريغها، فراجعتُها وأعدت ترتيبها وتبويبها، ولعلي أنشرها قريبًا، لكن القراءة لا تغني عن السماع.

الـذي حـام بقلبـه وظهـرت بركتـه في عملـه عـن قريـب.

والتقـدم في السـن ليـس حائـلًا، فكـم مـن شـيخ بلـغ مـا بلـغ وهـو كبـير! ومـن الشـواهد عـلى ذلـك مـا ذُكِرَ عـن **تـاج الديـن الحنفـي** النحـوي أنـه بعـد أن بلـغ الإمامـةَ في علـومٍ كثـيرة، وتقـدم بـه السـن أقبـل عـلى سـماع الحديـث ونَسْـخِ الأجـزاء، فلـما عاتبـه النـاس قـال في ذلـك:

وعاب سماعي للأحاديث بعـــدما ... كبرت أناسٌ هـــم إلى العيب أقرب

وقالوا إمـــامٌ فـــي علوم كثيرة ... يـــروح ويغدو سامعًا يتطلب

فقلت مجيبًا عن مقالتهم وقـــد ... غـــدوت لجهل منهـــم أتعجب

إذا استدرك الإنسان ما فات من عُلى ... فللحزم يُعزى لا إلى الجهل يُنسب[1]

والله الموفق وحده.



(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر (١/ ٢٠٤-٢٠٥).



المبحث الثالث

معالم فقه الاستدراك

لعلَّ هذا المبحثَ هو أهمُّ مباحثِ الكتاب؛ لأنه يتناول الفقهَ العمليَّ للاستدراك، وقد تضمن فقه اختيار مجال الاستدراك، وحسن التخطيط الإداري له، واستثمار الأزمنة والأمكنة الفاضلة وأحاديث الفضائل فيه، وكذلك المواقف الفاصلة للانطلاق فيه، بالإضافة للحديث عن مفاتيح الاستدراك وعوائقه، وإليك تفصيلَ ذلك في ستة مطالب:

المطلب الأول

فقه اختيار مجال الاستدراك

إنَّ أمَّتَنا اليوم في رحلةِ صُعُود، فالوعي يزداد، والصحوة تتقدم، وهناك مساحات واسعة أخفقت فيها الأمة، فواجبٌ عليها أن تستدرك الأمر بإصلاحه، ثم تبدأ مسيرة الاستدراك لما فات بحسن التعويض فيما هو آت، **ومن فقه الأخ الذي يريد الاستدراك على نفسه أن يجعل استدراكه متوافقًا مع استدراك أمته.**

وعليه؛ فإنَّ من أهم معايير اختيار مجال الاستدراك أن يتوافق مع حاجة الأمة، وكلما كان أقرب إلى واجب الوقت كان أولى وأقوى وأمتع وأنفع، وينبل الرجل إذا جعل مجال استدراكه أمرًا كبيرًا؛ فإنَّ هذا يجعل تفكيره كبيرًا، ودوره كبيرًا، ومشروع عمره كبيرًا، بل ويجعله شخصًا كبيرًا، ومن ثم يُقَطِّع ذلك الأمر إلى أجزاء صغيرة، **فيصبح العمل اليسير الذي يقوم به في يومه جزءًا من العمل الكبير الذي هو مشروعُ عمُرِه.**

وَحَاجةُ الأمَّةِ في نظري تشتد في سبعة مجالات، قبل الإدلاء بها أستدعي أنموذجين لمن جعل استدراكه على نفسه متوافقًا مع حاجة أمته ودعوته.

أما الأول فاستدراك عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

فإنَّ الفترةَ الزمنيَّةَ التي أسلم فيها كان الأذى قد اشتد بمن اكتُشِفَ إسلامُه، ومن ثَمَّ كان المسلمون يجتهدون في إخفاءِ أنفسهم وعبادتهم، فجاء **عمر** رضي الله عنه وقرر أن يستدرك على نفسه بإنهاء حالة الاختفاء، ووافقه النبي ﷺ على ذلك، وخرج المسلمون في صفَّين، وطافوا بالبيت، وشكل بذلك سياجًا معنويًّا حمى به الفئةَ

المُسلِمَة، وكسر نفسية قريش، وأخــــذ يدعـو النـاس إلى الإسـلام جهـرةً، وسـماه النبـي ﷺ يومها بالفـاروق!.

وأما الثاني فاستدراك خالد بن الوليد رضي الله عنه:

فإنه ما أن أسلم حتى جاءت غزوة مؤتة، ولما حصل الفراغُ القياديُّ باستشهاد القادة الثلاثة قُدِّم للقيادة، وقام من فوره بإنقاذ جيش المسلمين بطريقة بديعةٍ قذفت الرعب في قلوب الكافرين، وبعد ثلاث سنوات من ذلك كان له النصيبُ الأعلى في حراسة الدين بالقضاء على فتنة المرتدين، ولما قرر المسلمون فتح فارس والروم تولى هذه المهمة الكبيرة، التي أصبح بها إمامًا عظيمًا من أبطال الإسلام يذكره الناس إلى آخر الدهر!.

أما المجالات السبعة التي تشتد حاجة الأمة لها، والتي هي أركان بناء المجتمعات والدول فهي: العلم النافع بنوعيه الديني والدنيوي، والجهاد بجميع مراتبه، والأمن، والإعلام، والاقتصاد، والسياسة، وإصلاح بِنيَة المجتمع، **ولا ضيرَ من أي الأبواب دخلت تستدرك لأمتك باستدراكك على نفسك.**

فهذه أصول المجالات، وغيرها تبعٌ لها، وفرعٌ عنها.

أما العلم:

فإنه أصلُ كلِّ نجاح، ومدخلُ بناءِ أي دولة، وصناعةِ أي نهضة، وإمامةِ أي أمة، ولهذا تجد عامة التكاليف التربوية والجهادية والسياسية وغيرها في القرآن قد جاءت بعد قوله: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ [العلق:١]، فالأمر بالقراءة هو أول فرضٍ فرضه الله على الأمة.

ومن العجيب الذي يشد أذهان النبلاء أنَّ العلم وآلاته قد أشير إليه ست مرات في أول خمس آيات نزلت، تأملها بنفسك في قول الله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ

ﭐلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق:١-٥]!.

والآية قالت: ﴿ٱقْرَأْ﴾ ولم تحدد مقروءًا بعينه، وعند أهل اللغة «**إذا حُذِف المعمول اتَّسَع المدلول**»، والمعمول في اصطلاح النحاة هنا هو الكلمة التي يمكن أن تأتي بعد الفعل؛ كأن تنصح طالب علم فتقول له: اقرأ الفقه أو التفسير أو الجغرافيا السياسية أو العلاقات الدولية، وهكذا، فما جاء بعد الفعل «اقرأ» هو المعمول للعامل، فلما حُذِفَ المعمول احتملت الجملة ما لا يحصى عددًا من الخيارات؛ ليعم الأمر بالقراءة القراءةَ في كلِّ علمٍ نافعٍ يحتاجه الناس وتحتاجه الأمة.

واستحضار هذا الأمر يعين الأخَ المستدرِك على رسم خريطة مسيره، فالأمة تحتاج اليوم مثلًا إلى من يتقن السياسة علمًا وعملًا، وإلى من يمهر في التكنولوجيا بعد أن أصبحت سلاحًا مؤثرًا فعَّالًا، وإلى من يضبط العقيدة والفكر، ويقوم بالرد على الشبهات التي يبثها من وقع في فخ الليبرالية أو العلمانية أو الإلحاد مثلًا، وإلى من يحسن الفقه خاصة فقه الأحوال الشخصية والمعاملات المالية لا سيما المعاصرة منها، وإلى من يُفَسِّر القرآن ويشرح متون السُّنَّةِ وكتب السيرة ويعالج من خلالها أدواء الأمة، وإلى تطبيق ما نحتاجه من علم النفس والاجتماع في علاج الأمراض المجتمعية، ثم الاشتغال بالبناء الصحيح لها من جديد، وإلى تفعيل المختبرات التي يتم من خلالها التصدي لأي داء يبثه العدو عبر نشر الجراثيم المعدية بواسطة الدماء الملوثة بالأمراض القاتلة، وإلى الدخول في عالم البحوث العلمية التي تلازم البحثَ عن أسبابِ الظَّواهِرِ وعلاجها، وعن الأسلحة التي نرد بها صواريخ العدو مثلًا، وإبطال مفعولها قبل أن تصل إلى الأرض، ونحتاج كذلك إلى حُرَّاسِ الجبهةِ اللغويةِ والتربويةِ والإيمانيةِ والخُلقيَّةِ والأمنيةِ والصحية، والقائمة تطول.

فمـن تلقـى العلـم ونـشره بهـذا النَّفَس استشـعر أنه في سـاحة نفـير، يجاهد بهـذا العلم في سـبيل الله، وينـازل بـه أعـداء الله، ولعلك تدرك بهذا لِمَ تعامل القـرآن الكريم مع العلم معاملـة الجهـاد إذ قـال: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبـة:١٢٢] فالنفـير والفرقـة والإنـذار والحذر مصطلحـات عسـكرية جـاءت في الحديـث عـن العلـم والتفقـه في الدِّيـن!.

والمقصـود أنَّ طالـبَ العلـم في أي تخصـصٍ كان عليـه أن يتعمـق فيـما تحتاجـه الأمـة، فالنجـاح لـه ركنـان: الأهلية والشـعور بالمسئولية، **والمرتجى أن يُنَظِّمَ شـعورك بالمسـئولية خطـة مسـيرك في تحصيـل الأهليـة**، فيصبـح اسـتدراكك عـلى نفسـك جـزءًا مـن اسـتدراكك لأمتـك.

ومـا قيـل هنـا في التعلـم والتلقـي يقـال مثلـه في التدريـس والتصنيـف، وأكثـر الكتـب التـي شـكَّلت العقـل المسـلم كانـت أثـرًا لاسـتجابةٍ كريمـةٍ لحاجـة الواقـع.

فكتـاب «الرسـالة» للإمـام **الشـافعي** مثـلًا يُعـد مَحَطَّـةً محوريـةً فارقـةً في مسـيرة الفقـه عنـد العلـماء، وبالرجـوع إلى قصَّتـه نجـد أنَّ الإمـامَ **الشـافعي** لمـا نشـأ في رحـاب مدرسـة الحديـث بالمدينـة، ثـم عـاش مـدةً في رحـاب مدرسـة الـرأي بالكوفـة لاحـظ أنَّ مدرسـةَ الـرأي كلـما فقـدت النـص مـن السُّـنَّة اجتهـدت وفـق القواعـد المقـررة، وأنَّ مدرسـةَ الحديـث تأخـذ بالنـص دون التوغـل في فهمـه، وإدراك دلالتـه، فقـاد مشروعًـا إصلاحيًّـا ضخـمًا بعـد أن ضبـط اللغـة وأسـلوب العـرب في الـكلام، وبلـغ الإمامـة في ذلـك، حتـى إنـه شـيخ **الأصمعـي** الإمـام اللغـوي المشـهور، ثـم بـدأ يُحـبِّر فقـهَ التعامـل مـع النصـوص، فكتـب كتابـه المذكـور سـدًّا لثغـرة كل فريـق، فقـرَّب أهـل الـرأي بذلـك مـن النـص، وأهـل الحديـث مـن فقهـه، ولهـذا كان مـن السـهل أن يكتـب مذهبـه الجديـد كامـلًا في خمـس سـنوات بـل أقـل، وذلـك مـن خواتيـم عـام ١٩٩ هــ إلى عـام ٢٠٤ هــ، وهـي السـنة التـي توفـاه الله تعـالى فيهـا بمـصر.

فمعيـار الاسـتدراك القائـم عـلى الاهتـمام بحاجـة الأمـة، وواجـب الوقـت، والدخـول في الأعـمال الكبـيرة بـدا بـارزًا جـدًّا في مـشروع الإمـام **الشـافعي**، ولهـذا وقـع أحسـن موقـع مـن أهـل العلـم، **ومـن النقـول المُشـعرة بذلـك:**

قـال الإمـام **أحمـد بـن حنبـل**: مـا عرفـت ناسـخ الحديـث ومنسـوخه حتـى جالسـت الشـافعي، وقـال: مـا حمـل أحـد محـبرة إلا وكان للشـافعي عليـه فضـلٌ ومنـة!.

وقال **الزعفراني**: كان أهل الحديث نيامًا حتى جاء الشافعي فأيقظهم فتيقظوا!.

وقال **الكرابيسي**: ما كنا ندري ما الكتاب ولا السنة حتى سمعنا من الشافعي!.

وقـال **ابـن خلـكان**: كان الشـافعي أول مـن تكلـم في أصـول الفقـه وهـو الـذي اسـتنبطه!.

وقـال **الربيـع المـرادي**: رأيـت الشـافعي بعـد موتـه فقلـت: مـا فعـل الله بـك؟ فقـال: أنـا في الفـردوس الأعـلى! قلـت: بـم ذاك؟ قـال: بكتـابٍ صنَّفتـه وسـميته الرسـالة الجديـدة[1]!.

وأما الجهاد بمراتبه كافة:

فإنه حارسُ العلم والتعبد والبلاد والعباد.

وأنـى لأمـة أن تبنـي نهضتهـا وحضارتهـا وثغورهـا مخترقـةٌ مـن كل جانـب، فـكل ثغـر يمكـن أن تنـصر فيـه شريعتـك، وتـذل بـه أعـداءك هـو أرضيـةٌ خصبـةٌ ينبـت فيهـا الاسـتدراك، **وهـذا البـاب يُقـدِّم صاحبـه جـدًّا، ويجعلـه ينجـز في أمـد قصـيرٍ مـا فاتـه في عمـرٍ طويـل.**

(١) انظـر هـذه الأقـوال في كتـاب السـلوك في طبقـات العلـماء والملـوك للكنـدي (١/ ١٥٤-١٥٩).
ومـادة الرؤيـا ليسـت للاعتقـاد الجـازم، لا سـيما وأن المقصـود بيـان فضـل الكتـاب لا القطـع بدرجـة صاحبـه في الآخـرة.

ويقفـز إلى ذهنـي خـبر صحـابيٍّ حـيَّر كثـيرًا مـن الدعـاة وطلبـة العلـم، يصلـح شـاهدًا عظيـمًا عـلى ذلـك؛ وهـو خـبر **سـعد بـن معـاذ** ﷺ الـذي أسـلم في صـدر العهـد المدني، ومات بعد غزوة الأحزاب، يعني لم يعش في الإسلام إلا ست سنوات، ثم تخبرنـا النصـوص أنَّ عـرش الرحمـن جـل جلالـه اهتـزَّ لموتـه!!.

والله إنَّ المرء ليهتزُّ من الداخل وهو يسمع هذا الخبر الذي تطيش له الألباب من روعته ورونقه!.

يا الله! ما الذي فعله **سعدٌ** ليبلغ ما بلغ!.

وأصـارح القـارئ أني لم أبحـث في كلام العلـماء عـن سرِّ ذلـك، ولكـن ذهبـت أقـرأ سـيرته لأرى المواقـف الفاصلـة التـي اسـتدرك فيهـا عـلى نفسـه تأخـره في الإسـلام، وجعلهـا في عـين حاجـة دعوتـه وأمتـه، ليكـون اسـتدراكه جـزءًا مـن خطـة اسـتدراك دعوتـه، ووجـدت بغيتـي، وألتقـط هنـا بعـض المواقـف التـي تعلـن بنفسـها أنَّ سـعدًا هـو **رجـل المواقـف الفاصلـة**.

وأبـدأ بجـدول أعمالـه بعـد إعـلان إسـلامه؛ فإنـه لمَّا أسـلم عـلى يـد **مصعـب بـن عمـير** ﷺ في قصـةٍ لطيفـةٍ جمـع قومـه بنـي الأشـهل، وقـال لهـم: كـيف تعلمـون أمـري فيكـم؟ قالـوا: سـيدنا وأوصلنـا وأفضلنـا رأيًـا وأيمننـا نقيبـةً[١]، قـال: فـإنَّ كلام رجالكـم ونسـائكم عـليَّ حـرامٌ حتـى تؤمنـوا بـالله وبرسـوله! فآمنـوا، حتـى قـال الـراوي: فـوالله مـا أمسـى في دار بنـي عبـد الأشـهل رجـلٌ ولا امـرأة إلا مسـلمًا ومسـلمة[٢]!.

فأسـلم أكثـر أهـل المدينـة بإسـلامه، ولحكمـةٍ أرادهـا الله انطلقـت الدعـوة مـن مكـة، والدولـة مـن المدينـة، ولـما انطلقـت الفتوحـات فيـها بعـدُ مـن المدينـة كان الأنصـار مـن

(١) نقيبة الرجل سجيته وطبيعته والمشورة يقال: هو ميمون النقيبة ويقال: ما له نقيبة أي نفاذ في الرأي، وهذا المعنى الأقرب هنا. انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٩٤٤).
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ٢٨٠).

مـادة الإسـلام التي نـشرت ديـن الله في الأرض، ممـا يعنـي أن جـزءًا كبـيرًا ممـن أسـلم من الأمـم كان في ميزان الأنصار، والأنصار ومن أسلم على أيديهم في ميزان سعد، وعامة من ذُكر في ميزان **مصعب** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ!.

ولمـا خـرج المسـلمون يعترضـون قافلـة **أبي سـفيان** يـوم بـدر شـاور النبـيُّ ﷺ أصحابـه في القتـال، فتكلـم الصحابـة بالموافقـة، لكـنَّ النبـيَّ ﷺ كان يعيـد طلـب الشـورى يريـد الأنصـار؛ لأنَّـه تخـوَّف ألا تكـون الأنصـار تـرى نصرتـه إلا ممـن دهمـه بالمدينـة مـن عـدوه، وأنـه ليـس عليهـم أن يسـير بهـم إلى عـدوٍّ مـن خـارج بلادهـم، وذلـك بنـاء عـلى عـدم وضـوح هـذا الأمـر في بنـود بيعـة العقبـة.

ففطن **سعدُ بن معاذ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لكلامه، فقال: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله!.

قال: أجل!.

فـرد **سـعدٌ** بـكلام مـا أظـن أنَّ فريقًـا مـن الأدبـاء يسـتطيع صياغـة بعضـه، ومـا أحسـب أحـدًا يقـرؤه إلا واشـتهي أن يكـون هـو مـن نطـق بـه، ومـا ضره أن يبقـى بعـده سـاكتًا عامـةَ عمـره!.

قـال: **فإنـا قـد آمنـا بـك، وصدقنـاك، وشـهدنا أنَّ مـا جئـت بـه هـو الحـق، وأعطينـاك عـلى ذلـك عهودنـا ومواثيقنـا عـلى السـمع والطاعـة، فامـض يـا رسـول الله لمـا أردت فنحـن معـك، فوالـذي بعثـك بالحـق لـو اسـتعرضت بنـا هـذا البحـر فخضتـه لخضنـاه معـك، مـا تَخَلَّـفَ منـا رجـلٌ واحـد، ومـا نكـره أن تَلقَـى بنـا عدوَّنـا غـدًا؛ إنـا لصُـبُرٌ في الحـرب، صُـدُقٌ في اللقـاء، لعـل الله يريـك منـا مـا تقـر بـه عينـك، فسر بنـا عـلى بركـة الله!.**

ولعلـك أن تكـون خرجـت لأمـرٍ وأحـدث الله إليـك غيره، فانظـر الـذي أحـدث الله إليـك فامـض، فَصِـلْ حبـالَ مـن شـئت، واقطـع حبـالَ مـن شـئت، وسَـالِمِ مـن شـئت، وعَـادِ مـن شـئت، وخـذ مـن أموالنـا مـا شـئت، وأعطِنَـا مـا شـئت، ومـا أخـذت منـا كان

أحبَّ إلينا مما تركت!!.

فَسُرَّ رسول الله ﷺ بقول **سعد**، ونشَّطَهُ ذلك، ثم قال: «**سيروا وابشروا؛ فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم**»!.

وظهر نَفَسُ **سعد** في قومه، فلما كان يوم أحد وفر الجيش كان **سعدٌ** ممن ثبت مع النبي ﷺ، واستشهد اثنا عشر رجلًا من بني عبد الأشهل، وما زالت بقعة أحد تحتضن في أحشائها تلك البذرة الطاهرة النقية التي كانت من جملة جيل التأسيس، وقام الإسلام عليها.

واستشهد أخوه **عمرو** في المعركة، لكن أمه لم تكترث بذلك، وكانت تجد البحث عن النبي ﷺ، فلما وجدته تأملته فلما وجدته سالمًا قالت: إذ رأيتك سالمًا فقد أشوت المصيبة!؛ أي صغرت وخفت، فعزاها رسول الله ﷺ **بعمرو بن معاذ** ابنها.

ولما كانت وقعة الأحزاب أصيب **سعد**، وخشي أن يقتل قبل أن يُشفى صدرُهُ من بني قريظة إذ خانوا المسلمين، فقال: اللهم لا تمتني حتى تقر عيني من قريظة، مع أنهم كانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية!.

ولما تم حصارهم، وحصل الاتفاق أن ينزلوا على حكم **سعد** فيهم قال: فإني أحكم أن تقتل المقاتلة وأن تسبى الذرية! قال النبي ﷺ: «**لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات**»!.

فأنت ترى بجلاء أنه كان يراعي في خُطَّتِه مصلحةَ دعوته حتى في تقرير مصيره وحياته، فربط حياته بخدمة الإسلام وأهله وإذلال الكفر وأهله ربطًا تامًّا، ومن أعجب ما وقعت عيني عليه أنه قال بعد أن أصيب وحكم في بني قريظة:

«اللهمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا

رَسُولَكَ وَأَخْرَجُوهُ، اللهمَّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْءٌ فَأَبْقِنِي لَهُ حَتَّى أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ، وَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الْحَرْبَ فَافْجُرْهَا وَاجْعَلْ مَوْتَتِي فِيهَا، فَانْفَجَرَتْ مِنْ لَبَّتِهِ[1][2].

فلا عجب بعد كل ذلك أن يكرمه ربه كرامةً لم تعرف لأحدٍ قبله ولا لأحدٍ بعده.

وبعد الذي تسطر؛ فإن الحاجة اليوم لسد الفجوات العسكرية شديدة، خاصة بعد أن أضحى الثغر العسكري علمًا، فيمكن لمن رام الاستدراك على نفسه أن يقف على أهم الحوائج العسكرية، ويسخر وقته في تطويرها، وإيجاد حلٍّ لمشكلاتها؛ كمشكلة طائرة الاستطلاع مثلًا المُلقَّبة بالزنَّانة في بلادنا، والتي لو استطعنا تحييدها لتغير شكل القتال وثمرته جذريًّا.

ويمكن أن يتخصص في أحد التخصصات العسكرية التي تشتد الحاجة لها، حتى يصبح متمكنًا فيه راسخًا في مادته، فيكفي أمته هذا الباب.

وأما الأمن:

فلست أعني به العمل في الأجهزة الأمنية وإن كان هذا فاضلًا؛ ولكن أعني ضبط النُّظُم الأمنية، والقدرة على إدارة صراع الأدمغة مع العدو، واختراق منظومته، وكشف عدته وخططه، وإبطال هجماته، ومعرفة أدواته، وتجنيد العيون بداخله، وغير ذلك، سواء كان هذا على المستوى المحلي أو المستوى الدولي.

فالمعارك العسكرية في الغالب ظلٌّ للمعارك الأمنية، فالمعركة أمنية أصالةً عسكرية تبعًا.

(١) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٤١٢٢)، صحيح مسلم، رقم الحديث: (٤٦٩٩).
(٢) انظر عامة ما ورد عن سعد في كتاب «سكب الرذاذ على سيرة سعد بن معاذ» لأم الفضل.

وأما الإعلام:

فإن طوفان العولمة جعل العالم اليوم حاضرته وباديته كقريةٍ واحدة، وأصبح الاعتزال مرادًا للأعداء؛ لتخلو لهم الساحة ليفرخوا ويبيضوا إثمًا وفسادًا كيفما شاءوا، عبر وسائل الإعلام الهابطة والموجهة، لإفساد ما تبقى من تعاليم الإسلام وأخلاقه.

ومن أخطر ما يسلكه المبطلون اليوم أنهم يعيدون عرض الإسلام بما يتوافق مع الثقافة الغربية، ويقلبون بذلك حقائق الدين، حتى إنهم ليتهمون أصحاب الحق بالفساد والإفساد، ويثنون على أهل الباطل بالصلاح والإصلاح.

وقلب الحقائق خصلةُ نفاق قديمة، كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾[التوبة:٤٨].

وكم يتقاطر القلب أسى عندما يرى نجاح العدو في تصوير الضحية مجرمًا والمجرم ضحيةً! وما نقدر بعدُ على مهارة الخطاب الذي نُركِّعه به لنا، فامتلاك بعض الوسائل الإعلامية شيء، وإدراك فلسفة الإعلام وفقه عرضه شيءٌ آخر.

ومع الزيادة الإعلامية النامية للفساد الخُلُقِي، والانحراف العقدي والفكري والسلوكي لم يعد يصلح إغلاق الأبواب والنوافذ؛ بل يتعين من يتصدى للمرابطة الدائمة في مواجهة هذا الطغيان الجارف للخير والأخلاق والدين والمفاهيم.

وهذا يحتاج منا أولًا إلى درايةٍ وخبرة بفنون هذه المعركة؛ إذ إنَّ معرفةَ الأساليب الحديثة لهذا الجهاد البياني لا تقل شأنًا عن معرفتنا بأساليب استعمال الأسلحة القتالية الحديثة[1]، وهذا يستدعي استنفار كُتَّابنا ومفكرينا وإعلاميينا وشعرائنا

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة للشحود ١-٢٩ (٦٨/ ١٣٥).

للتنظير لهذا الدين، والدفاع عنه، ومهاجمة الخصوم بأحسن الوُسُل[١].

وهذا يعني وجود مساحة ضخمة لمن رام الاستدراك على نفسه بالوقوف في هذا الخندق الذي لا يقل شأنًا عن خندق المواجهة العسكرية، ولهذا لما دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ، وَابْنُ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ يَقُولُ:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ ... الْيَوْمَ نَضْرِبْكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ ... وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

قَالَ عُمَرُ: يَا ابْنَ رَوَاحَةَ فِي حَرَمِ اللهِ، وَبَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَقُولُ هَذَا الشِّعْرَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خَلِّ عَنْهُ؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَكَلَامُهُ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ وَقْعِ النَّبْلِ»[٢]!. صححه الألباني، ودلالة الحديث واضحة ظاهرة.

وأما الاقتصاد:

فإنه مجالٌ خصبٌ للاستدراك، بل ويحتل مرتبةً متقدمةً بين المجالات الأخرى، لا سيما وأن أغلب التجارب الإسلامية تتقهقر على عتبات الاقتصاد، وهو اليد التي يوجعنا العدو عادةً من خلالها.

ويشعر المرء بالأسى عندما يرى عقليةَ كثيرٍ من أصحاب التجارب الإسلامية لا يحسنون جمع المال إلا عبر التبرعات والضرائب غالبًا.

ومع الحاجة الماسة إلى ترويج ثقافة النهضة بالاقتصاد لعمارة الأرض من خلاله.. إلا أن ثقافة التزهيد من المال ما زالت تحتفظ بموقعها في الطرح الدعوي والمنبري، رغم أنها من جملة المفاهيم التي تُعرض مشوهةً عن مادة الشريعة؛ وذلك أن بعض المشتغلين بالدعوة فهم أن الزهد يعني التزهيد في المال، والحق أن

(١) الرباط في سبيل الله ومجالاته المعاصرة لمحمد المصطفى ص (٢٧-٢٩).
(٢) سنن النسائي، رقم الحديث: (٢٨٩٣).

الزهـد هـو «تـرك مـا لا ينفـع في الآخـرة» كـما عرفـه شـيخ الإسـلام **ابـن تيميـة**[١].

ولا يرتـاب مبتـدئٌ في طلـب العلـم فضـلًا عمـن فوقـه أن مـن أكثـر النـاس فضـلًا وأعظمهـم اليـوم نفعًـا وأجـرًا مـن آتـاه الله مـالًا، فهـو ينفـق منـه في ظـل الأزمـات الاقتصاديـة والشـدائد العامـة.

ولـك أن تسـتدل عـلى فضـل ذلـك برزمـة النصـوص التـي نطقـت بفضـل الصدقـة والقـرض، حتـى بلـغ الأمـر أن يكتـب عـلى بـاب الجنـة: «الصَّدَقَـةُ بِعَـشْرِ أَمْثَالِهَـا، وَالْقَـرْضُ بِثَمَانِيَـةَ عَـشَرَ» كـما أخـرج ابـن ماجـه[٢].

وبنـاء عـلى مـا تقـدم؛ فليـس بمسـتغربٍ بعـد ذلـك أن نـرى التقـدم في عقليـة الإنتـاج بطيئًـا جـدًّا، وأن نـرى العـدو يتحكـم بنـا مـن خـلال هيمنتـه عـلى ذلـك.

وبـما تسـطر ظهـر واضحًـا أن ثغـر الاقتصـاد مجـالٌ خصـبٌ للاسـتدراك؛ لأن أهلـه الواقفيـن ببابـه قلـة.

وزيادةً في التحريض على سلوك هذا المسلك أقول:

إن المـال أحـد الكليـات الخمـس في الشريعـة، وإن الشريعـة لا تُنَظِّـر للفقـر ولا للمسـكنة، بـل إنَّ كميـةَ النصـوص الهائلـة التـي تدعـو للإنفـاق وإيتـاء ذي القربـى والإقـراض والـزكاة والنفقـة في الجهـاد والكفـارات تسـتفزنا للعمـل عـلى إزاحـة الفقـر عـن المشـهد، وتُشـعِرُ المخاطـب بـأن يكـون غنيًّـا ليفعـل ذلـك.

مـا شـعورك عندمـا تجـد النبـي ﷺ يسـتعيذ بـالله مـن الفقـر دبـر كل صـلاة؛ فقـد أخـرج **النسـائي** مـا مفـاده أن النبـي ﷺ كان يدعـو دبـر كل صـلاة: «اللهـمَّ إِنِّي أَعُـوذُ

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٢٨).
(٢) سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٢٤٣١).

بِـكَ مِـنْ الْكُفْـرِ وَالْفَقْـرِ وَعَـذَابِ الْقَـبْرِ»[(١)]!.

ولم يكـن النبـي ﷺ فقـيرًا عـلى الـدوام كـما يسـتقر في بعـض الأذهـان؛ فالنبـي ﷺ كان بمكـة تاجـرًا، ثـم ورث مـال **خديجـة** ﵂ وهـي مـن أثريـاء مكـة، ولمـا ذهـب إلى المدينـة أعطـاه الله خُمـسَ الخُمُـس مـن الغنائـم، يعنـي سـهمًا مـن خمسـة وعشريـن مـن مـال الأمـة، وأعطـاه أربعـة أخمـاس الفيء؛ أي مـن المـال الـذي يؤخـذ مـن العـدو مـن غـير قتـال، وقـد رأينـاه يذبـح يـوم حجـه ثلاثـة وسـتين بدنـةً مـن مالـه..

وأحـصى الدكتـور **عبـد الفتـاح محمـد السـمان** في رسـالته «**أمـوال النبـي ﷺ كسـبًا وإنفاقًـا وتوريثًـا**» بـإشراف شـيخنا الدكتـور **محمـد الزحيـلي** بـأن مجمـل مـا دخـل مـن الذهـب في ماليـة النبـي ﷺ بلـغ (١٢١٧) كيلوجـرام مـن الذهـب، ومجمـل تركتـه مـن العقـارات والأراضي بلـغ (١٥) قطعـة أرض.

أمـا مـا يذكـر أنـه ربـط عـلى بطنـه الحجـارة مـن الجـوع، وكان يمـر عليـه الهـلال ثـم الهـلال ولا يوجـد في بيتـه طعـام، وتـوفي ودرعـه مرهونـة عنـد يهـودي.. فهـذه مـن الحـالات الطبيعيـة التـي تمـر بالإنسـان، فـلا يكـون عنـده سـيولةٌ ماليـة، وإن امتلـك قطعـة أرض هنـا أو عقـار هنـاك، فتتقلـب عليـه الأحـوال فقـرًا وغنـى، ضيقًـا وسـعةً.

لكـن النبـي ﷺ كان في الجملـة ذا مـال، كيـف وقـد قـال الله تعـالى لـه: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحـى:٨]، لكنـه ﷺ كان كثـير الإنفـاق جـدًّا.

بـل نجـده ﷺ مـن اليـوم الأول الـذي دخـل فيـه إلى المدينـة عمـل عـلى اسـتقلال الأمـة اقتصاديًّـا؛ إذ لمـا وصلهـا وجـد المـاء العـذب بيـد اليهـود، بمعنـى أن اليهـودي لـو مكـث أيامًـا في سـخطٍ علينـا فيمكـن أن يتحكـم بالمـاء الـذي نشربـه!، فعندهـا أعطـى النبـي ﷺ صفقـةً فوريـة تنـص عـلى أن مـن يشـتري البئـر لـه الجنـة، نعـم؛ الجنـة مقابـل

(١) سنن النسائي، رقم الحديث: (١٣٤٦).

بئر!؛ لئلا تبقى أساسيات الناس وحاجياتهم بيد عدونا، يتحكم بنا كما يشاء.

فقد روى **الترمذي والنسائي** أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ يُسْتَعْذَبُ غَيْرَ بِئْرِ رُومَةَ فَقَالَ: «مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلُ فِيهَا دَلْوَهُ مَعَ دِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ»[1]، فاشتراها **عثمان بن عفان** رضي الله عنه من صلب ماله.

ولعلك لاحظت أنه ﷺ اشترط أن يكون دلو المشتري واحدًا مع دلاء المسلمين؛ وذلك لئلا يتحكم بأساسيات حياتنا أحدٌ من الناس، حتى لو كان مسلمًا.

هذا الفهم العظيم الذي يقرره النبي ﷺ ندرك معه أنَّ **الاقتصادَ أحد أعمدة بناء الدول**، ويتعين اليوم أن نتعامل معه كعلم؛ لئلا نمارسه بسذاجة وجهل، فنقع في درك الشقاء، وذلك أن فضل الله تعالى وكرمه يتنزل على الأمة المتعلمة القارئة، وقد جاء الربط بين القراءة وكرم الله في قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ [العلق:٣].

والأزمات التي تحيط بالأمة اليوم لا يكفي أن تُعالج بالدعوة إلى التوبة من الذنوب فحسب؛ بل ينبغي أن تدار بعقلٍ مؤثر وقلبٍ متأثر، والقلب المتأثر هو الذي يحسن أصحابه فعل الحسنات والتوبة من السيئات، والعقل المؤثر هو الذي يتقن أصحابه الأخذ بالعوائد الجارية التي جعلها الله في الناس، والتي تُلَقَّب بفقه السنن، ويعني طريقة معاملة الله للبشر، سواء كانوا من المسلمين أو من الكفار، فمن أخذ بأسباب الغنى وفقه الله، ومن تقاعس وقصر فسيبقى في العناء والشقاء.

بقي أن يعلم أن مثلث القوة في حياة الدول: الاقتصاد والجهاد والإعلام، وهذه الثلاثة هي أشد الأسلحة التي يفتك العدو بنا من خلالها، **ولن نكسر شوكته إلا**

---

(١) سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٧٠٣)، سنن النسائي، رقم الحديث: (٣٦٠١). وقد صححه الألباني.

إذا استعملنا الأسلحة التي يواجهنا بها.

وقد أحسن الصهاينة استعمال هذا المثلث جيدًا؛ فإنهم لما أرادوا التمكن من الأنظمة والدول درسوا مادة الشعوب الإسلامية جيدًا، فوجدوا أن المجتمع ينقسم إلى قسمين: نخب وعوام، ولاحظوا أنَّ العوامَّ يريدون الحق لكنهم لا يعرفونه، وأن النُّخَب يعرفون الحق لكنهم لا يريدونه، فاشتروا النخب بالمال، وضللوا الشعوب بالإعلام، وقاوموا كل محاولة إصلاحٍ بالسلاح، فتم لهم الأمر بأيدٍ عربيةٍ خالصة!.

وإدراك هذه السياسة تدفع بشباب الأمة ورجالها أن يستدركوا على أنفسهم بتكثيف الجهود التي نقيم بها اقتصادًا قويًّا، وجيشًا قويًّا، وإعلامًا قويًّا، وليس من فراغ أن يجمع بينها النبيُّ ﷺ في حديثٍ واحدٍ نصُّه: «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ»[1]! صححه الألباني.

وعسى أن يُقَيِّضَ الله من عباده من يعقل أنَّ الاقتصاد أحدُ أهم الأسلحة الفتَّاكة التي نحفظ بها كلمتنا، ونستقل عبرها بقرارنا، ونوجع بها عدونا، وننهض بها بأمتنا.

وأما السياسة:

فأعني بها الدراية بسبل إدارة الدول وبنائها، وهذا يتطلب دراسة العلوم السياسية، والإحاطة بالتاريخ، وبقوانين النهضة وبناء الحضارة، ودراسة التجارب الإسلامية والإنسانية، وفهم عقلية الباطل، وأساليبه؛ ليسهل علينا بعد ذلك إقامة نظام إسلامي شامل.

---

(١) سنن أبي داود، رقم الحديث: (٢٥٠٦).

وإقامة النظم الإسلامية شيء، والتنظير لها شيءٌ آخر، فأن تُنَظِّرَ لفكرة تَحَتُّمِ الالتزام بالشريعة في مجال الاقتصاد شيء، وأن تحول النظرية الشرعية لنظم عملية وإجراءات تفصيلية تنظم عمل الدول والحكومات والبنوك والمؤسسات شيءٌ آخر، والضعف عادةً في الثاني لا في الأول.

وأما إصلاح بِنيةِ المُجتمعِ من الداخل:

فالعنوان كاشفٌ عن المضمون، فكل جهد يأخذ بالمجتمع إلى الازدهار، ويحفظه من عوامل الانهيار فهو أرضٌ خصبةٌ لمن رام الاستدراك بعملٍ كبير، من مثل تنضيج عقل الزوجين بفقه إدارة البيوت، وتربية الأبناء، وعلاج مشكلات الأسرة، والإصلاح بين الناس، والتنظير للعمل التطوعي، والتخفيف من البطالة، والسعي في حل مشاكل الشباب، ومعالجة المشكلات في ملف الزواج والطلاق والأيتام، ونشر ثقافة العلم والتكافل والقِيَم في أرجائه، وإقامة المؤسسات الأهلية لإنجاز ذلك.

وفي ختام هذا المطلب أنوه إلى أمرين:

الأول: يمكن في تحديد مجال الاستدراك أن تسترشد بالماضي لتحديد المستقبل، فتُشَاكِلَ الطاعةُ الجديدة المعصيةَ القديمةَ في جنسها؛ فمن كان يتاجر بالحرام يتاجر اليوم بالحلال، ومن كان يُسَخِّرُ صوتَه في سبيل الشيطان يجعله اليوم في سبيل الرحمن.

وقد مضى أنَّ **عكرمة** رضي الله عنه اعتمد هذا المنهج لما قال: **«وَاللهِ لَا أَتْرُكُ مَقَامًا قُمْتُهُ لِأَصُدَّ بِهِ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِلَّا قُمْتُ مِثْلَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَا أَتْرُكُ نَفَقَةً أَصُدُّ بِهَا عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِلَّا أَنْفَقْتُ مِثْلَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ»**! ومن قبله قال **عمر** رضي الله عنه: **«ما وقفت موقفًا آذيت فيه مسلمًا إلا وقفت مثله منافحًا عن الدين وأهله؛ لأستدرك ما سبقتموني إليه»**!.

على أنه **لا يلزم التحولُ في الاستدراكِ من معصيةٍ إلى طاعة؛ بل قد يتحول المستدرِكُ من عمل حسنٍ لما هو أحسن، ومن عمل صغير لآخر كبير.**

والآخر: اتضاح ملامح مجال الاستدراك بدِقَّةٍ ليس شرطًا للبداية، بل يمكن البدء بأعمال عاديَّةٍ صغيرةٍ في الفضاء الذي تحب، سواء كان علمًا أو جهادًا أو اقتصادًا أو غير ذلك، وأثناء المسير تكون متيقظًا لذلك، وكلما تقدَّمت في الطريق تكشفت لك الآفاق، وبدأ مشروع العمر الذي تريده محلًّا للاستدراك يتضح شيئًا فشيئًا.

ومع اكتمال وضوحه تحث الخطى إليه، متجاوزًا عامَّة العقبات، تستعين بالله وتأخذ بالأسباب حتى يفتح الله لك.





حسن التخطيط الإداري

الـذي يمـشي بغـير خُطَّـــةٍ وافيـةٍ يتعـبُ ويفكـرُ كثيـــرًا، ولا يُنجـز أو يُنتـج إلا قليـلًا، وإنَّ مـن أهـم صفـات مـن قصـد الاسـتـــدراك عـلى نفسـه أنَّ رؤيتَـه معلومـة، وخريطـة سـيره مرسـومة، ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الملـك:٢٢].

ويُرَكِّـزُ هـذا المطلب عـلى أهميـةِ تنظيـمِ الشَّـخصيَّةِ وكتابـة الخطـة الذاتيـة، وتحديـد الشـكل النهائـي للشـخصية الـذي سـتتأسـس الخطـةُ بنـاء عليـه، ثـم بيـان كيفيـة كتابـة الخطـة، ونختـم بزمـرةٍ مـن النقـاط المتناثـرة المتعلقـة بذلـك، وبذلـك ينـدرج تحـت لـواء هـذا المطلـب أربعـة أفـرع إليـك تجليـةَ القـولِ فيهـا:

الفرع الأول: أهمية تنظيم الشخصية وكتابة الخطة الذاتيَّة:

أستفتح الكلام بقول الشيخ **محمد الغزالي** إذ قال فأحسن القول:

ما أجمـلَ أن يعيـد الإنسـان تنظيـم نفسـه بـين الحـين والحـين، وأن يرسـل نظـرات ناقـدة في جوانبهـا؛ ليتعـرف عيوبهـا وآفاتهـا، وأن يرسـم السياسـات القصـيرة المـدى والطويلـة المـدى ليتخلـص مـن هـذه الهَنَـات التـي تُـزري بـه!.

في كل بضعـة أيـام أنظـر إلى أدراج مكتبـي لأُذهِـب الفـوضى التـي حلَّـت بـه مـن قصاصـاتٍ متناثـرة، وسـجلاتٍ مبعثـرة، وأوراق أدَّت الغـرض منهـا، فأرتـب كل شيء في وضعـه الصحيـح، ويسـتقر في سـلة المهمـلات مـا لا معنـى للاحتفـاظ بـه.

وغـرف البيـت وصالاتُـه تصبـح مشـعَّثة مرتبكـة عقـب أعـمال يـوم كامـل، فـإذا

الأيـدي الدائبـة تجـول هنـا وهنـاك لتنظـف الأثـاث المغبر، وتطـرد القمامـة الزائـدة، وتعيـد إلى كل شيء نظامـه.

ألا تستحق حياة الإنسان مثل هـذا الجهـد؟! ألا تسـتحق نفسـك أن تتعهد شـئونها بـين الحـين والحين لـترى ما عراهـا مـن اضطـراب فتزيلـه، ومـا لحقهـا مـن إثـم فتنفيـه عنهـا مثلـما تنفـي القمامـة عـن السـاحات الطهـور؟!.

ألا تستحق النفس بعـد كل مرحلـةٍ تقطعهـا مـن الحيـاة أن نعيـد النظـر فيـما أصابهـا مـن غُنـم أو غُـرم؟ وأن نُرجـع إليهـا توازنهـا واعتدالهـا كلـما رجَّتهـا الأزمـات، وهزَّهـا العـراك الدائـب عـلى ظهـر الأرض في هـذه الدنيـا المائجـة؟.

إنَّ الإنسـانَ أحـوجُ الخلائـقِ إلى التنقيـب في أرجـاء نفسـه، وتعهـد حياتـه الخاصـة والعامـة بـما يصونهـا مـن العلـل والتفكـك؛ ذلـك أن الكيـان العقـلي والعاطفـي للإنسـان قلَّـما يبقـى متماسـك اللبنـات مـع حِـدَّةِ الاحتـكاك بصنـوف الشـهوات وضروب المغريـات، فـإذا تُـرِك لعوامـل الهـدم تنـال منـه فهـي آتيـةٌ عليـه لا محالـة، وعندئـذٍ تنفـرط المشـاعر العاطفيـة والعقليـة كـما تنفـرط حبـات العِقْـد إذا انقطـع سِـلْكُه، وهـذا شـأن ﴿... مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهـف:٢٨] ا. هـ[1].

مـا أنفـعَ كلامَ الشَّـيخِ في التَّنْظـيرِ لكتابـةِ الخُطَّـةِ الشَّـخصيَّة!، لا سـيما وأن الإنسـانَ بمثابـة مؤسسـة لهـا أعـمالٌ ونشـاطات، ونجاحُهَـا منـوطٌ بحُسـنِ إدارتهـا، ودقـة التخطيـط لهـا.

ومن منافع انتظام الإنسان وفق خطة شخصية الأوجه الثلاثة الآتية:

أولًا: كثـرة الإنجـاز: فالـذي يُخَطِّـطُ يُنجـز في حـدود ٧٠٪ مـن الخُطَّـة، ويبقـى متحفـزًا للمزيـد؛ لسـيطرة الشـعور بالتقصـير عليـه، أمـا الـذي يمـشي بـلا تخطيـطٍ ولا

---

(١) جدد حياتك للشيخ محمد الغزالي (١/ ٣).

هـدفٍ فإنَّهُ إن أَنْجَزَ ٣٠٪ كان في غاية البهجة، واستمراره محلُّ شك، وقد لا يصب إنجـازُهُ في صالـح هدفـه العـام، فيذهـب جهـده ضائعًـا أو يكـون نفعـه قليـلًا.

ثانيًا: السلامة من الاضطراب: فكثيرٌ من الشباب يهاب التخطيط، ويظنه أمرًا معقَّدًا، وربـما استساغ المشيَ بـدون بوصلةٍ أو هـدف، يتحـرك كيفـما حُرِّك، مرة ينام بعـد العشـاء ومـرة يسـهر حتـى الفجـر، يقـرأ ورده القـرآني يومًـا ويهجـره أسـبوعًا أو شـهرًا، وإن خطَّط فليـومٍ أو بعـض يـوم، يقتلـه الفـراغ، وربـما دفعـه لمقارفـة المعصيـة، وفي غالـب الأحـوال تلتهـم وسـائل التواصـل الاجتماعـي غالـب وقتـه.

فـإذا التقـط فكـرةَ الاسـتدراك، وخـطَّ قلمُـهُ خطـةً شـخصيةً لـه، وبـدأ في تطبيقهـا، فقـد شـيع العشـوائية في حياتـه إلى مثواهـا الأخـير، وأصبحـت أيامـه معلومـة الأعبـاء، يشـتغل بالتنفيـذ لا بحـيرة التفكـير والتدبـير.

وأذكـر أني جالسـت شـابًّا ناشـئًا ناهـز العشريـن، ولَـمَّا تداولنا الأوراد العلمية قـال لي: يومـي واضـحُ المعـالم: خمـس سـاعات للتخصـص الـذي أَدْرُسُـهُ، وسـاعة لحفـظ القـرآن ومراجعتـه، وسـاعة للتفسـير، وسـاعتان للقـراءة في الكتـب الثقافيـة والشرعية والفكريـة، وحاصـل المقـروء عنـدي يوميًّـا سـبعون صفحـة، وقـد انتهـى مـن قرابـة مائـة كتـاب بهـذه الطريقـة.

ثالثًا: حل المشكلات الخاصة: وذلك أنَّ الإنسـانَ إذا جـاء على الجانـب الاجتماعي مثـلًا في الخطـة، وانتهـى مبكـرًا مـن حسـم قـراره بشـأن الـزواج وبنـاء البيـت ومجـال الوظيفـة وغـير ذلـك.. فـإنَّ العقـل سـيتجه بِكُلِّيَتِهِ إلى التفكـير في مسـارات الحـل الـذي نضَّجـه، لا في المشـاكل نفسـها، وقـد أحسـن الدكتـور **عبد الكريم بكار** إذ صرَّح قائـلًا: **«كل مسـلم لا يسـتطيع حـل مشـكلاته الخاصة يتحـول هـو إلى مشـكلة اجتماعيـة»!.**

وعقـب الـذي تسـطَّر فيَقْبُـحُ بالشَّـابِّ أن يبقـى تائهًـا؛ بـل الظـن الحسـن بالـذي يريد أن يعـوض مـا فاتـه مـن سـنوات أن يدخـل شـبكة الانترنـت، ويفتـش فيهـا عـن دوراتٍ

مسجلةٍ في التخطيط للذات[1]، ويجالس المختصين، ويقرأ بعض الكتابات النافعة في هذا المجال، وأنصح بكتاب «**الخطة البراقة لذي النفس التواقة**» للدكتور صلاح الخالدي؛ فإنه نافعٌ مفيد، وهو منشورٌ عبر الشبكة.

ثم ليُعلم أنَّ **من لم يخطط لنجاحه فإنه يخطط تلقائيًّا لفشله، ومن لم يُخطِّط لنفسه فسيكون تلقائيًّا ضمن منظومة خطط الآخرين.**

الفرع الثاني: تحديد الشكل النهائي للشخصية:

ومنزلة هذه النقطة من الخُطَّةِ كمنزلة تكبيرة الإحرام من الصَّلاة، والوقوف بعرفة من الحج، فإذا عرف من رام التعويض لما فات، والاستدراك فيما هو آت أين يقف؟ وإلى أين يتجه؟.. اتضحت معالم طريقه جيدًا، وقام برسم خط للسير لا تَعَرُّجَ فيه، فيصل لغايته في أخصر وقت، وأوفر تكلفة.

فلا بد إذن من تحديد الشكل النهائي للشخصية؛ هل سأكون فقيهًا يُفتي الناس؟، أم مؤلف كتبٍ ودراسات؟، أم قائدًا عسكريًّا يُذِلُّ أعداءَ الله؟، أم رجل سياسة يُؤَثِّرُ في مسار الأحداث؟، أم خبيرًا أمنيًّا يقف لعدونا بالمرصاد؟، أم رجل إعلام يُحسن البلاغ؟، أم مُصلِحًا اجتماعيًّا يحل مشاكل المجتمع مشكلةً بعد أخرى؟، أم رجل اقتصاد يعيد للأمة قَدْرَهَا وقرارها؟، أم مفكرًا يصنع المفاهيم التي تحتاجها الأمة؟، أم رجل تربية ودعوة وإصلاح؟، أم رجل بحوث علمية يتفرغ عبرها لحل المُعضلات؟، أم عالمًا في الشريعة أو الفيزياء أو الطب أو التاريخ أو غير ذلك؟.

---

(١) وذلك أنني تركت كثيرًا مما ينبغي أن يُقال في مجال التخطيط؛ لئلا أَخْرُجَ عن مقصود الكتاب، ومحل بسط ذلك كتب الإدارة، والتخطيط الاستراتيجي، والذي ركَّزت عليه هنا هو الجانب العملي الواقعي دون الإغراق في التفصيلات والمثاليات.

إنَّ مُجَرَّدَ الانتهاءِ من الإجابة عن هذا السؤال سيجعلك تبدأ في الشغل ولو عددت نفسك متكاسلًا؛ وذلك أنَّ إنجازَكَ لهذه النقطة يعني أنك ستبدأ تقتني الكتبَ اللازمةَ لمسارك، وتصاحب أناسًا يحملون نفس التوجه، وتطالع مواقع تبحث نفس التخصص، وتتقن المهارات والدورات التخصصية المطلوبة لذلك، وتقبل ذلك العمل وترفض غيره بناء على ذلك، والأهم من ذلك أنَّ قدرتَك العقلية الذهنية تصبح مركزةً في بناء صرح هذا الجانب.

وقد تقدم الحديثُ عن فقه اختيار مجال الاستدراك في المطلب الفائت، وهنا يُنبَّه على أن يكون هذا الجانب متوافقًا مع رغبة الإنسان وقدرته وطموحه، وليس بالضرورة أن يكون هو مجال تخصصه أو وظيفته، لكن كلما كان منسجمًا معه كان أولى وأقوى.

وذلك أنَّ الرغبةَ هي جسرُ الإبداع، ويمكن اكتشافُها بجولةٍ معرفيَّةٍ في جملةٍ من العلوم، ليكتشف نفسه، **فقد جعل الله نفس كل شخص متآخيةً مع نوعٍ من المعارف،** وليس بوقتٍ ضائعٍ ذلك الذي تنفقه في اكتشاف نفسك، وما فتح الله به عليك.

وحذار من أن تكون الرغبةُ بناء على إعجابٍ بفلان أو ضغطٍ من علان، وإنَّ مخالفةَ الشاب لرغبة أهله في المجال الذي يريد ليست داخلةً في العقوق؛ لعدم دخول ذلك في دائرة حقوقهم أصلًا، فمجال الاستدراك لا مجال فيه للمجاملات لا مع الأهل ولا مع الأصدقاء ومن له مقدارٌ كريم عندك، بل علامة الفقه عند هؤلاء أن يُوَجِّهُوا الإنسان للمجال الذي يسره الله له، وحببه إليه، وكلٌّ ميسر لما خُلِق له، بل إني لأخشى أن تكون مخالفة الآباء لرغبات الأبناء هي من العقوق الحاصل في حقهم.

الفرع الثالث: كيفية كتابة الخطة:

بشكلٍ عمليٍّ ميسر لـو أردنـا أن نكتـب خطـةً متوسـطة المدى، لمدة ثـلاث سـنوات فـماذا نفعـل؟. لا بـد أولًا مـن بيـان محـاور الخطـة، ثـم كيفيـة التنفيـذ، ودونـك البيـان:

أولًا: محاور الخطة:

وهي ستة، ودونك بيانَها:

الجانب الإيماني: كالعبادات؛ من مثل التهجد وحفظ القرآن وأعمال القلوب.

١) الجانـب التربـوي والخُلُقـي: ويُرَكِّـزُ عـلى الجانـبِ السـلوكي؛ مـن مثـل العفـة والتجـرد والصـدق والحِلـم والحكمـة والرفـق والوفـاء ومـا أشـبه ذلـك.

٢) الجانب العلمي: ويضم عامة الاهتمامات العلمية، بما يشمل التخصص وغيره.

٣) الجانـب الدعـوي: وأعنـي بـه التنظـير للفكـرة التـي تنتمـي إليهـا، سـواءً كانـت شرعيـةً أو لا، وذلـك عـبر الخطابـة والتدريـس، أو الكتابـة والتصنيـف، أو مـن خـلال وسـائل التواصـل الاجتماعـي أو غـير ذلـك.

٤) الجانـب الاجتماعـي: وفيـه العنايـة بالأهـل، والعلاقـة مـع الأرحـام والجـيران والأصدقـاء وزمـلاء العمـل وأضراب ذلـك، ويدخـل في هـذا الجانـب مـا يتعلـق ببنـاء البيـت والـزواج والوظيفـة كذلـك.

٥) الجانـب الشـخصي: ويـؤوِي إليـه الجانـب الصحـي والترفيهـي وتحصيـل المهـارات التـي يحتاجهـا ويرغبهـا؛ كمهـارة الخـط والسـباحة وقيـادة السـيارة والحاسـوب ومـا أشـبه ذلـك.

٦) فيـأتي إلى كل جانـب مـن هـذه الجوانـب السـتة، ويقـوم بكتابـة خطـة خاصـة بـه، تتضمـن الأعـمال التـي يريـد إنجازهـا في هـذا الجانـب، أو المرتبـة التـي يريـد أن يبلغهـا فيـه خـلال السـنوات الثـلاث، فالمطلـوب هنـا مجـرد سرد الأعـمال ليـس إلا.

ثم إنه سيكون عندنا أربع ورقات:

الأولى: الخطة الاستراتيجية: وفيها سرد الأعمال في كل محور للسنوات الثلاث، بحيث يكتب: المحور الأول: الجانب الإيماني، والأعمال التي سيثبت عليها، ويقوم بها هي كذا وكذا، ويقوم بتعدادها، ويفعل كذلك مع كل محور.

والثانية: الخطة السنوية: بحيث يقتطع جزءًا من الأعمال في كل محور؛ ليقوم بتنفيذه خلال العام، ويراعي نسبة التوزيع بين السنوات الثلاث؛ بحيث يكون المقتطَع ثلث الأعمال تقريبًا، مع الانتباه إلى أن بعض الأعمال قد تكون لمرة واحدة خلال المدة كلها؛ كالحج أو العمرة مثلًا في الجانب الإيماني، وكالتسجيل للماجستير مثلًا في الجانب العلمي، وأخذ دورة في السباحة في المحور الشخصي.

والثالثة: الخطة الشهرية: وهنا يقوم بتوزيع أعمال السنة على الأشهر، لكن لا يقوم بكتابة خطة جميع الأشهر؛ بل يأخذ طائفةً من الأعمال التي سينفذها خلال الشهر، مع مراعاة العدالة في التوزيع؛ لئلا يعاني الضغط في الأشهر الأخيرة، وفي نفس الوقت يراعي حالته في الأشهر، فليست خطة فترة الإجازة إن كان موظفًا أو طالبًا كخطته فيما لو كان مشغولًا بذلك.

ومن حسنات الخطة الشهرية أنه يصبح ينظر لأعماله طيلة الشهر في ورقة واحدة، فيعرف أنَّ أعباءَهُ في الجانب العلمي في هذا الشهر أنه سيقرأ ثلاثة كتب مثلًا، وفي الجانب الاجتماعي أن عنده جولة صلة رحم، وهكذا.

والرابعة: الخطة الأسبوعية: فيكتب فيها عمل الأسبوع، ويُلاحظ فيه البرنامج اليومي، فيعرف مثلًا أن عليه في الجانب الإيماني حفظ صفحة من القرآن كل يوم، وفي الجانب الدعوي أنه سيكتب مقالًا يُعالج قضيةً ما في المجتمع، وهكذا.

وقد التزمت بهذه الطريقة، ووجدت فيها بركةً وأي بركة!.

ومما يُيَسِّر الأمر أن يقوم بتجهيز قوالب جاهزة للورقة الشهرية والأسبوعية عبر الحاسوب، ويصبح يُعبئ الفراغات فحسب، فهذا يجعل زمن كتابة الخطة الشهرية في صدر الشهر لا يستغرق سوى ساعةٍ أو بعض ساعة.

أما فيما يتعلق بتفصيل الخُطَّةِ من الدَّاخل فهذا شأنك، وسأضرب لك مثالًا واحدًا تقيس به غيرَهُ:

لو قررت أن تجعل من أعمالك الإيمانية في هذه السنوات الثلاث حفظ القرآن الكريم مثلًا، فتلقائيًّا ستجعل في الورقة السنوية حفظ عشرة أجزاء، وفي الورقة الشهرية جزءًا واحدًا، وتجعل الشهرين الباقين في السنة للمراجعة والتثبيت، وفي الورقة الأسبوعية خمس صفحات؛ بحيث تحفظ كل يوم صفحةً، وتجعل اليومين الباقين في الأسبوع وكذلك آخر الشهر للمراجعة والتثبيت، وبهذا أصبح الهدف الكبير واضح المعالم على صعيد برنامج اليوم الواحد، وقد تُضاعِف الكمية في الإجازة، وتخففها وقت الامتحانات والانشغالات، فهذه خطتك وأنت تتصرف فيها كما تشاء بما فيه صلاح أمرك.

الفرع الرابع: نقاط خمس منثورة في تنظيم الشخصية:

أولًا: الإرادةُ هي أصلُ التغيير، ولا يستطيع أحدٌ أن يمنحك إياها، ولكن يمكن تشجيعك عليها.

وكثيرٌ من الشباب لا يفصله عن طموحاته إلا قرار، ولا ينقذه من أمواج الاضطراب والتردد والكسل إلا قرار، والكثرة من الناس لا ينبهم عليها الإنجاز من الكسل، ولا الحلال من الحرام، ولكن تحتاج إلى قرار جريء للدخول في عملية الاستدراك، ولذلك؛ فإن أكثر الناس استمتاعًا بالحياة، وتأثيرًا في الواقع أكثرهم ضبطًا للمشاعر، وتنظيمًا للقرارات التي تخصهم أنفسهم[1].

---

(١) توسعت في هذا المعنى في كتاب «تحصيل المرام في علاج مشكلة الشهوات والنظر الحرام» ص (٨٩-٩٣) فانظره إن شئت.

ثانيًا: بعض الإخوة يهاب كتابة الخطط الشخصيَّة، فهو يعتقد أنَّ لها قُدُسِيَّةً؛ بحيث لا تحتمل شواغله وطوارئه، فتجده يقول: من الصعب أن أشرع في كتابة خطة؛ لأني هذه الفترة مشغولٌ بالامتحانات الجامعية، أو مرتبطٌ بعملٍ مع والدي.

كلا؛ اكتب الخطة وسجِّل فيها أنك ستتفرغ لمدة عشرين يومًا لإنجاز الامتحانات، وتحقق معدلًا جامعيًّا تقديره كذا، ثم إنك سترتبط بعملٍ مع أبيك مدته كذا، وهكذا، **فخُطَّتُك ظِلُّ حياتك.**

ثالثًا: يعقب الإنجاز نوعٌ من الخمول، وهذا معلومٌ عند علماء الإدارة، وعليه؛ فلا بد أن تكون فترةُ الرَّاحةِ مُقدَّرةً في الخطة، فطالبٌ ملتحقٌ بكلية الدراسات العليا مثلًا لو قرر أن يُنجِزَ رسالته العلمية في النصف الثاني من السنة، فإنه بعد أن ينهيها، ويشعر بالإنجاز قد يتراخى ويطول به زمان التراخي، فالجادة الإدارية تَعِظُهُ بأن يكتب في الخطة أنَّ مُدَّةَ التبسط خمسة أيام، ومن ثم يعود من جديد.

والمسلم يربي نفسه ما إن ينتهي من عمل حتى يشرع في غيره، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح:٧،٨].

رابعًا: إنَّ الاستدراكَ يتجزأ، فلو أراد المستدرِك أن يبني بيتًا أو ينجز علمًا أو يضبط مهارةً فيمكن تقسيم ذلك إلى خطوتين أو ثلاث أو أكثر من ذلك؛ لضمان دقة التنفيذ، وحسن الأداء، وعدم التشتت والاضطراب بالدخول في الأمور الكبيرة جملةً واحدة.

وذلك أنَّ حماسةَ بعض الشباب في استدراك التقصير، ورؤيته للناجحين تجعله يريد أن يتعجل المشهد الأخير الذي وصلوا إليه، من غير نظرٍ إلى جودةٍ وضبط، وربما فتح لأجل ذلك عدة جبهاتٍ في آنٍ واحد، والنتيجة أنه أحبط وربما يئس، وإنما **الذي يتوجب عليه أن يتعامل مع الأعباء كما يتعامل القائد العسكري مع الأعداء،** فيصف أعداءه في جدول المواجهة واحدًا بعد الآخر، ويجتهد ألا يطيل

زمن المواجهة مع كل جبهة.

ثم إنَّ تقسيم العمل الواحد إلى عدة أجزاء يُهونه في عين صاحبه، ويشعره بالفرحة وبالراحة النفسية بعد إنجاز كل جزء، مما يشجعه على المواصلة والمسير.

خامسًا: أمران إن تَرَتَّبَا في حياتك صلحت أحوالك دينًا ودنيا، وأُعنت على نجاح خُطَّتك: النوم والصلاة:

فإذا نمت وَفق الطبيعة التي جبل الله الناس عليها؛ بأن نمت مبكرًا قدر الاستطاعة، ولم تنم صباحًا إلا من نحو ساعة بعد شروق الشمس عند الحاجة، ثم استعنت بنوم القيلولة.. فإنَّ جدولَ يومِكَ سيكون مُنَظَّمًا مُرَتبًا، وسترى الإنجاز في حياتك حاضرًا ظاهرًا.

وإذا التزمت بالصلاة في المسجد.. فإنَّ منظومةَ مواعيدك وأورادك ستكون سليمةً مستقيمة، ولا تعاني من كثيرٍ من الأدواء التي يُعاني منها أهل هذا الزمان.

أما من كان برنامجُ نومِهِ مضطربًا، والتزامه بالصلاة في المسجد مضطربًا.. فإنَّ جَدولَ أعماله قد يكون مضطربًا، وسيعاني في تنظيمه وترتيبه.

وعلاج التشويش في هذين الأمرين يكون بمجاهدة النفس على الالتزام بهما، وتحمل عناء التحول إليهما، وذلك أنَّ أي أمرٍ يؤرق الإنسان، ويريد أن يجعله عادةً راسخةً في حياته فلا بد أن يكرره عددًا يثبت بعده، أقله واحدٌ وعشرون مرة -وهو الغالب في الناس-، وأكثره أربعون مرة كما ينقل عن علماء النفس، مع عدم القطع بينها، على أنه في هذه الفترة سيعاني كثيرًا، لكنه بعد ذلك سيرتاح طويلًا بإذن الله تعالى.

المطلب الثالث

استثمار الأزمنة والأمكنة الفاضلة

هـذا المطلـب والـذي بعـده يتمحضـان في الاسـتدراك التعبـدي، فمـن الفقـه لـدى المستدرِك أنـه إن ابتغـى تعويـضَ فوائـتِ السـنوات الماضيـة أن يسـتفرغ وُسْـعَه واجتهـاده بالاسـتدراك في الأزمنـة والأمكنـة الفاضلـة.

ومـن رحمـة الله تعـالى بهـذه الأُمَّـة أنَّـه لَّمـا علـم قِصَر أعمارهـا وضعـف أجسـادها بالنسـبة لمـن سـبقها عوَّضهـا الله تعـالى بالأماكـن الفاضلـة التـي تضاعـف فيهـا الأجـور؛ كالمسـجد الحـرام والمسـجد النبـوي والمسـجد الأقـصى وثغـور الحراسـة والربـاط، وكذلـك بالأزمنـة الفاضلـة التـي هـي بمثابـة مواسـم تعويضيـة؛ كشـهر رمضـان الـذي اسـتأثر الله بمقـدار أجـره لعظمتـه، وليلـة القـدر التـي جعلهـا الله خيرًا مـن ألـف شـهر، والأيـام العـشرة الأولى مـن ذي الحجـة، وصيـام عرفـة الـذي يُكفِّـر سـنتين مـن الذنـوب، ويـوم عاشـوراء الـذي يُكفِّـر سـنة واحـدة.

ويمكـن للمسـتدرِك الـذي يريـد اعتيـاد العزائـم أن يسـتثمر رمضـان في تقريـر العـادات مـن أجـل صناعـة التحـولات في حياتـه؛ ذلـك أنَّ العـادةَ -كـما سـبق- تثبـت بالتكـرار واحـدًا وعشريـن مـرة غالبًـا، إذا توفَّـر الدافـع لهـا، والقناعـة بهـا، ولم يكـن هنـاك انقطـاعٌ بـين المـرَّات، وشـهر رمضـان ثلاثـون يومًـا، فيُسـتثمر في ذلـك، لا سـيما وأن فعـل الطاعـات وتـرك السـيئات يكـون سـهلًا متيسـرًا فيـه.

ولعـلَّ أصـلَ هـذا المعنـى مُسـتنبطٌ مـن الحديـث الـذي أخرجـه **الترمـذي وابـن ماجـه** مـن روايـة **أبي هريـرة** رضي الله عنه أنَّ النبـيَّ ﷺ قـال: «**إِذَا كَانَـتْ أَوَّلُ لَيْلَـةٍ مِـنْ رَمَضَـانَ صُفِّـدَتْ الشَّـيَاطِينُ وَمَـرَدَةُ الْجِـنِّ، وَغُلِّقَـتْ أَبْـوَابُ النَّـارِ فَلَـمْ يُفْتَـحْ مِنْهَـا بَـابٌ، وَفُتِحَـتْ أَبْـوَابُ**

الجُنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَنَادَى مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَللهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ». صححه الألباني.

فقد ربط النبي ﷺ بين الإقبال على الخير والإقصار عن الشر، وما ذُكِر من غلق أبواب النار وفتح أبواب الجنة.

وذلك أنَّ هناك صلةَ رحمٍ بين أبواب الجنة وأبواب الحسنات المفضية إليها، فإذا جاء رمضان وفتحت أبواب الجنة فتحت أبواب الحسنات، حتى يصبح فعل الحسنات متيسرًا جدًّا، ويسهل عليه اعتماد مقدارٍ حسن من ركعات التهجد وأجزاء القرآن وأوراد التسبيح بالإضافة للصيام نفسه، وغير ذلك.

وهناك صلةُ رَحِمٍ بين أبواب النار وأبواب السيئات المفضية إليها، فإذا جاء رمضان وغُلِّقَت أبواب النار غُلِّقت أبواب السيئات، حتى يصبح ترك السيئات متيسرًا جدًّا، ويسهل عليه أن يستديم الاستقامة على أمر الله بعد ذلك، وإن أذنب فذنوبه قليلة، والتوبة منها سريعة.

وينضاف إلى ذلك أنَّ الشياطينَ مُصفَّدة، فلا يوجد كثيرُ عناء في ذلك، وهذا أحد السُّبل التي يتميز من خلالها الذنب الذي سببه نفس الإنسان من الذنب الذي سببه وسوسة الشيطان، والله تعالى أعلم، ونسبة العلم إليه أسلم.

وبهذا تكون فكرةُ المطلب قد تقررت، غير أنه لَمَّا كُنَّا من سكان الثغور استدعى هذا أن نُوجِّهَ كلمةً مفردة لأهل البلد عندنا، وكذلك لكل من كان يسكن ثغرًا من الثغور؛ لفرط أهمية ذلك بالنسبة لمن قصد الاستدراك على نفسه، فأقول:

إنَّ حسنةَ المرابط بألف؛ فقد أخرج **الترمذي والنسائي** عن **أبي صالح** مولى **عثمان** قال: سمعت عثمان وهو على المنبر يقول: إني كتمتكم حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ كراهية تفرقكم عني، ثم بدا لي أن أحدثكموه؛ ليختار امرؤ لنفسه

ما بدا له، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ الله خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ»[1]! حسنه الألباني.

وورد الحديث عند **ابن ماجه** من رواية **عبد الله بن الزبير**، فإنه قال: خَطَبَ **عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ** النَّاسَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي سَمِعْتُ حَدِيثًا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ بِهِ إِلَّا الضَّنُّ بِكُمْ وَبِصَحَابَتِكُمْ، فَلْيَخْتَرْ مُخْتَارٌ لِنَفْسِهِ أَوْ لِيَدَعْ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَابَطَ لَيْلَةً فِي سَبِيلِ الله سُبْحَانَهُ كَانَتْ كَأَلْفِ لَيْلَةٍ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا»[2]! حسنه الألباني.

قال الإمام **المناوي**: وعليه؛ فحسنةُ الجهاد بألف[3].

وقال **ابن النحاس**: في حديث عثمان هذا دليلٌ واضحٌ على أنَّ إقامة المرابط يومًا واحدًا بأرض الرِّباط أفضلُ من الإقامة ألف يوم في غيره من الأماكن، حتى لو كان هذا المكان مكةَ أو المدينةَ أو بيتَ المقدس، ولهذا خاف **عثمان** ﷺ أن يتفرَّق الناسُ عنه إذا أعلمهم بذلك؛ رغبةً في الرباط والإقامة ببلاده، ولولا أنه يعلم أنَّ ذلك يَعُمُّ مكَّةَ والمدينة لما خاف تفرقهم وخروجهم من المدينة إلى أرض الرباط[4].

وهذا المعنى الذي بثَّهُ **عثمان** ﷺ كان **عمر بن الخطاب** ﷺ يهتف به في سمع أهل مكة فيقول: يا أهل مكة، يا أهل البلدة، ألا التمسوا الأضعاف المضاعفة في الجنود الْمُجَنَّدَة، والجيوش السائرة، ألا وإن لكم العَشْر[5]، وهم الأضعاف

(١) سنن الترمذي، رقم الحديث: (١٦٦٧)، سنن النسائي، رقم الحديث: (٣١٦٩).
(٢) سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٢٧٦٦).
(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (٢/ ٥٤).
(٤) مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق لابن النحاس (١/ ٣٨٤-٣٨٥).
(٥) يشير إلى أن الحسنة بعشر أمثالها، وخصت الأحاديث الصلاة؛ فإنها بالمسجد الحرام بمائة ألف، واختلف في غيرها من الأعمال، واختلف هل يختص ذلك الفضل بالمسجد الحرام أم يشمل منطقة الحرم؟ ولعل الأقرب أنه يختص بالصلاة، لكنه يعم جميع الحرم، وبسط الأدلة محله المطولات الفقهية.

المضاعفـة[١]!.

وكان من يسأله عن أفضل الأعمال يدله على الرباط والجهاد، من مثل **الحارث بن هشام وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو**[٢]، واستجاب هؤلاء وغيرُهم لموعظة **عمر** رضي الله عنه.

ويطيبُ للقلم أن يتوقف ليُسَجِّلَ لك مشهدَ فراق **الحارث بن هشام** رضي الله عنه لأهل مكة، وتوديعهم له، **والحارث** هذا شخصٌ ذو قدرٍ بمكة، من أشرافها وعظمائها، وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه لما ذكر فعله في الجاهلية في قِرَى الضيف وإطعام الطعام قال: إنَّ الحارثَ لسَرِي[٣]، وإن كان أبوه لسريًّا، ولوددت أنَّ الله هَدَاهُ إلى الإسلام[٤]!.

والمهم أنَّ **الحارثَ** لما أراد أن يخرج بأهله إلى الشام، وجهَّز متاعه جزع أهل مكة عليه جزعًا شديدًا، ولم يبق أحدٌ يطعم إلا خرج يشيعه، حتى إذا كان بأعلى البطحاء وقف، ووقف الناس حوله يبكون، فلما رأى جزع الناس رق وبكى، ثم قال:

«يا أيها الناس، إني والله ما خرجت رغبةً بنفسي عن أنفسكم، ولا اختيارَ بلدٍ عن بلدكم، ولكن كان هذا الأمر -يعني الإسلام-، فخرجت فيه رجالٌ من قريش، والله ما كانوا من ذوي أسنانها، فأصبحنا والله لو أنَّ جبالَ مكة ذهبًا فأنفقناها في سبيلِ الله ما أدركنا يومًا من أيامهم، وأيم الله لئن فاتونا به في الدنيا لنلتمسن أن نشاركهم به في الآخرة، أما والله لو كنا نستبدل دارًا بدار، وجارًا بجار.. ما أردنا بكم بدلًا، ولكنها النقلة إلى الله»!..

(١) السير الكبير للشيباني (١/ ١٢).
(٢) مسألة في المرابطة بالثغور أفضل أم المجاورة بمكة لابن تيمية ص (٤٧-٤٨).
(٣) أي: ذو شرف. انظر: المعجم الوسيط (١/ ٤٢٨).
(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١/ ٣٠٣).

يـا لله مـا أحسـنَ هـذا الـكلام! وإني لأشـتهي أن يُصـدح بـه في سـمع أهـل الثغـور، وأن يُعلَّـقَ لهـم في لوحـات المسـاجد، وأن يُصـدح بـه في المنابـر والمنائـر؛ حتـى يَقْـدُرُوا نعمـةَ الله عليهـم حَـقَّ قَدْرِهَـا، ويبالغـوا في الاسـتكثار مـن الحسـنات وأعـمال الربـاط والجهـاد.

أما عـن **الحارث** فإنـه وصـل الشـام، ولم يـزل حابسًـا نفسـه ومـن معـه في سـبيل الله حتـى ختـم الله لـه بخـير، قيـل: قـضى شـهيدًا، وقيـل: مـات في طاعـون عمـواس سـنة ثـماني عـشرة[1].

وإذا ضممنـا لمـا ذُكـر مـا أخـرج **المنـذريُّ** عـن **ابـن عمـر** أنَّ النبـيَّ ﷺ قـال: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ لَيْلَةً أَفْضَلَ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ؛ حَارِسٌ حَرَسَ فِي أَرْضِ خَوْفٍ لَعَلَّهُ أَنْ لَا يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ**»[2] صححـه الألبـاني.. كاد عقـل الإنسـان أن يطيـش مـن ضخامـة الأجـر!.

وذلـك أنَّ هـذا الحديـثَ يُعْلِـمُ أنَّ حراسـةَ ليلـةٍ أفضـلُ مـن عبـادةٍ نحـو مائـة سـنة؛ إذ إنَّ إحيـاء ليلـةِ القـدرِ خـيرٌ مـن عبـادة ثلاثـة وثمانـين عامًـا، وليلـة الحراسـة خـيرٌ مـن ليلـة القـدر في الأجـر، فـماذا عـلى المسـلم لـو سـطَّر في صحيفـة عملـه، وديـوان حسـناته، سـاعاتٍ مـن الحراسـة وأيامًـا مـن الربـاط؟![3][4].

والمقصـودُ مـن تسـطير هـذه النصـوص أنَّ مـن رَامَ الاسـتدراكَ عـلى نفسـه، والتعويـض لمـا فاتـه أن يقصـد الثغـر، ويُكْثِـرَ فيـه مـن ألـوان التعبـد، فلـو كان مُقَصِّرًا في السُّـنَنِ الرواتـب لمـدة عـشر سـنوات مثـلًا فيسـهل عليـه أن يسـتدرك؛ لأنَّ حسـنةَ

---

(١) انظـر مجمـل مـا ورد هنـا: تهذيـب الكـمال للمـزي (٥/ ٢٩٩-٣٠٢)، الاسـتيعاب في معرفـة الأصحـاب لابـن عبـد الـبر (١/ ٣٠٢-٣٠٤)، سـير أعـلام النبـلاء للذهبـي (٤/ ٤٢٠-٤٢١).

(٢) الترغيب والترهيب للمنذري، رقم الحديث: (١٩٢٤).

(٣) الحق بالقافلة لعبد الله عزام ص (٢٢).

(٤) مـن أحـب التوسـع في فضائـل الربـاط والحراسـة فأحيلـه عـلى كتـابي «**الربـاط وأحكامـه في الفقـه الإسـلامي**»؛ فقـد ذكـرت فيـه عـددًا وافـرًا مـن ذلـك، مـع التعليـق عـلى الأحاديـث الـواردة فيهـا.

الرِّبَـاطِ بألـف، ويُصـلِّي بـما يُغطِّي الفوائـت التـي عليـه.

وإذا كان ينبغـي أن يختـم القـرآن الكريـم في كل شـهرٍ مـرةً أو مرتـين فإنـه يتلـو في الثغـر مـا يسـتوعب فـترة التقصـير في حياتـه، وكذلـك يفعـل مـع أوراد الصَّدَقـة والتسـبيح والتهجد والصيـام وغـير ذلـك، فيُقَـدِّر المقـدارَ الـذي كان ينبغـي أن يلتـزم بـه، ويـرى مسـاحة الفـوات، ويسـتثمر المواضـع الفاضلـة في الاسـتدراك عـلى نفسـه.

ولـو قصـد الثغـور المخوفة في الليـالي المخوفـة، وقـام بحراسـتها.. فـإنَّ ليلتـه عسى أن تزيـد في الفضـل عـن فضـل أعـمارٍ كاملـةٍ لبعـض النـاس، فإنـه كلـما زاد الخـوف زاد الأجـر.

وبهـذا يجمـع بـين نُـصرةِ الدِّيـن، وإعـزازِ المسـلمين، وإذلال الكفـرة والمجرمـين، فضـلًا عـن حيازتـه للأجـور الهائلـة، وهـذا فضـل الله يؤتيـه مـن يشـاء، ويُيَسِّرُهُ لمـن يشـاء، والله ذو الفضـل العظيـم[1].



(١) وقـد ذكـرت في كتـابي «**الربـاط وأحكامـه**» مـا ينبغـي أن يفعلـه مـن تعسـر عليـه الربـاط أو تعـذر، فلينظـره مـن حـرص عليـه.

المطلب الرابع

استثمار أحاديث الفضائل

عدَّ المطلب الفائت استثمار الأزمنة والأمكنة الفاضلة في العمل من الفقه لدى المستدرِك، ومن نفس المشكاة راح هذا المطلبُ يَعُدُّ استثمارَ الأعمالِ التي منحتها الشريعة فضلًا خاصًّا من فقه المستدرِك كذلك؛ إذ إنَّهُ بذلك يُحصِّل الفضلَ الكثيرَ في وقتٍ قليل وجهدٍ يسير.

وأتناول هنا طرفًا من أحاديث الفضل، وأحاديث التفضيل، وبعض العبادات اليسيرة التي منحتها الشريعة أجورَ عباداتٍ كبيرة، وبهذا يقوم عماد هذا المطلب على ثلاثة أفرع، هذا بيانُها بين يديك:

الفرع الأول: استثمار أحاديث الفضل:

ومن شواهد ذلك الأمور السبعة الآتية:

١) **الحسنة بعشر أمثالها**: وهذا تضعيفٌ يعم عامة الأعمال، فالصلاة خمسٌ في الأداء وخمسون في الجزاء، ومن هذا قولُ النبيِّ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: الم حَرْفٌ؛ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»[1] صححه الألباني.

فمجرد الاستكثار من النوافل من أحسن ما يُعَوِّضُ به الإنسانُ ما فاته.

وكلما كان الإنسان أقوى إيمانًا، وأحسن إسلامًا كلما زاد أجر عبادته، حتى

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه برقم: (٢٩١٠) من رواية ابن مسعود رضي الله عنه.

ربما زاد عمله عن عمل قبيلةٍ بأسرها، يدل على ذلك ما أخرج **البخاري ومسلم** من حديث **أبي هريرة** ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا**»[١]!.

وإحسانُ الإسلامِ فُسِّر بثلاثةِ معانٍ:

الأول: أي صار إسلامه حسنًا باعتقاده وإخلاصه، ودخوله فيه بالباطن والظاهر[٢].

الثاني: بإكمال الأوامر واجتناب المحرمات، ومنه الحديث المشهور: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**»[٣]، فكمال الإسلام حينئذٍ يكون بترك ما لا يعنيه، وفعل ما يعنيه[٤].

الثالث: أن تقع طاعات المسلم على أكمل وجوهها وأتمها، بحيث يستحضر العامل في حال عمله قرب ربه منه، واطلاعه عليه[٥].

٢) الاشتغال بما يرفع الدرجات في الجنة خاصة: فإذا شعر العبدُ أنَّهُ تيقَّظ مُتَأخرًا، وقد فاتته درجاتٌ كثيرةٌ في الجنة كان يمكن أن يُحصِّلَها في الفترة التي غفل فيها عن ذلك، وأنَّ النَّاسَ سبقُوه بذلك.. فإنه يقصد الأعمال التي صرَّحت النصوص بأنها ترفع في الجنة درجاتٍ ودرجات.

ومن ذلك: حفظ القرآن الكريم كله أو بعضه؛ لما أخرج **أبو داود** عَنْ عَبْدِ

---

(١) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٤٢)، صحيح مسلم، رقم الحديث: (٣٥٣).
(٢) فتح الباري لابن حجر (١/ ٩٩).
(٣) سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٣١٧)، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٩٧٦). صححه الألباني.
(٤) فتح الباري لابن رجب (١/ ١٤١).
(٥) فتح الباري لابن حجر (١/ ٩٩)، فتح الباري لابن رجب (١/ ١٤٧).

الله بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا»[1]. قال الألباني: حسنٌ صحيح.

وصاحب القرآن هنا هو الذي استظهره عن ظهر قلب، وأتقن أداءه وقراءته وترتيله[2]، ودل الحديث أنَّ في الجنة درجاتٍ على عدد آي القرآن، وهي تنيف على ستة آلاف آية[3][4].

فماذا عليك لو شرعت في حفظ القرآن الكريم!، أو على الأقل حفظ سُوَر المُفصَّل الذي كان كثيرٌ من السلف يعتنون بحفظه وتعليمه، وهو من سورة الحجرات أو ق إلى الناس، يعني أربعة أجزاء وربعًا، وعدد آيات المُفَصَّل تزيد عن ١٦٠٠ آية، مما يعني أنَّ حفظَهُ يرفع صاحبه أكثر من ١٦٠٠ درجة في الجنة!.

ومن ذلك: الاستكثار من السجود؛ لما أخرج **ابن ماجه** عَنْ **عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْجُدُ للهِ سَجْدَةً إِلَّا كَتَبَ الله لَهُ بِهَا حَسَنَةً، وَمَحَا عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً، فَاسْتَكْثِرُوا مِنَ السُّجُودِ»[5]. صححه الألباني.

ولا يزال العبدُ يكثر من السجود حتى يبلغ درجةَ المرافقةِ للنبيِّ ﷺ في الجنة، وهذا الترغيبُ ليس رجمًا بالغيب؛ وإنما دل عليه الدليل؛ فقد أخرج **مسلمٌ** في صحيحه عن **ربيعة بن كعب الأَسْلَمِيّ** قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فَأَتَيْتُهُ

(١) سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٤٦٦).
(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لابن علان (٦/ ٣١٧). وانظر هذا الكتاب للتوسع في الأقوال في ذلك.
(٣) الديباج على مسلم للسيوطي (٤/ ٤٧٥).
(٤) وقال بعضهم: عدد درجات الجنة هو عدد آيات القرآن كما ذكر المناوي، ولم يقع بصري على دليل يصح يدل على ذلك، بل قرائن بُعد هذا القول كثيرة. انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (١/ ٦٥٢).
(٥) سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (١٤٢٤).

بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ لِي: «سَلْ»! فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ! قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ! قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»[1].

فالنبي ﷺ أراد أن يكرمه مقابل خدمته، فطلب أعلى الدرجات، فقال له النبي ﷺ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟»؛ أي: أترجع عن سؤالك؛ لأنك قد لا تطيقه، وتسأل غيره مما هو أهون منه، فأصر على نفس المطلب، فأرشده النبي ﷺ حينئذٍ إلى كثرة السجود؛ لأنَّ النفسَ تتخلف بطبعها عن السعي في نيل المعالي؛ لميلها إلى الدعة والرفاهية والشهوات..

وأفهم الحديث أنَّ من كثر سجودُهُ حصلت له تلك الدرجة العلية المومأ إليها بقوله تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ [العلق:١٩]، فكلُّ سجدةٍ فيها قربٌ مخصوصٌ؛ لتكفلها بالرقي إلى درجةٍ من درجات القرب، وهكذا حتى ينتهي إلى درجة المرافقة لحبيبه ﷺ، **فيكون القرب من رسول الله ﷺ في الجنة يُشترى بالقرب من الله تعالى بالسجود بين يديه**[2]!.

وماذا عليك لو أكثرت من السُّجُود، وجعلت من أعمالك سوى الفرائض والسنن الرواتب ركعاتٍ تُصَلِّيهَا في الليل والنهار، وتبقى محافظًا عليها حتى تتمتع بمرافقة النبي ﷺ خالدًا في ذلك أبدًا!.

ومن عرف أجور الأعمال هانت عليه في كل الأحوال.

٣) كثرة التعبد في زمان الفتن: وذلك لما أخرج أصحاب السنن إلا **النسائي** عن **أبي ثَعلبة الخُشَنِيِّ** أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ**»،

---

(١) صحيح مسلم، رقم الحديث: (١١٢٢).
(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لابن علان (١/ ٣٩٢-٣٩٤) بتصرف.

وفي رواية: قَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «**أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ**»[(١)]!.

وهذا فضلٌ يعم عامة الأعمال، فالعبادة في أيام الفتن أعظم أجرًا، فيجد مبتغي الاستدراك في ذلك نافذةً حسنةً للتعويض، قال المباركفوري: وذلك لأنَّ مشقةَ الصبر في تلك الأيام كمشقة الصابر على قبض الجمر بيده، فأُعْطِيَ العاملُ مثل أجر خمسين يعملون مثل عمله في غير زمانه، ودل ختام الحديث على فضل هؤلاء في الأجر على الصحابة رضي الله عنهم من هذه الحيثية، ولا ينافي هذا فضل الصحابة رضي الله عنهم على من بعدهم؛ لأنَّ الفضلَ الجُزئيَّ لا ينافي الفضلَ الكلي[(٢)].

بل إن التعبد في زمن الفتن يمكن أن يُستدرك به ثواب الهجرة إلى النبي ﷺ؛ فقد أخرج **مسلم** عَنْ **مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ** رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**»[(٣)].

والمراد بالهرج الفتنةُ واختلاطُ أمور الناس، وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها، ويشتغلون بغيرها[(٤)].

عقب شيخنا د. **يونس بن محي الدين الأسطل** على ذلك قائلًا: فيكون أولئك العبَّاد القليلون قد تفردوا بوجه ربهم، ونابوا عن البشرية في تحقيق مقصد العبودية، أشبه ما يكون بالذين يقومون في الثلث الأخير من الليل والناس غافلون.

٤) صلة أهل ود الوالدين: وهذا استدراك خاصٌّ ببر الوالدين، لما روى مسلم في صحيحه عَنْ **عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ** أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ **عَبْدُ الله** وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ، وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ، فَقَالَ **ابْنُ**

---

(١) سنن أبي داود، رقم الحديث: (٤٣٤٣)، سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٠٥٨)، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٤٠١٤). وهذا جزء من الحديث، وصدره قال عنه الألباني: ضعيف، لكن فقرة «أيام الصبر» ثابتة.
(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري (٨/ ٣٣٧).
(٣) صحيح مسلم، رقم الحديث: (٧٥٨٨).
(٤) شرح النووي على مسلم (١٨/ ٨٨).

دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَـهُ: أَصْلَحَكَ اللهُ؛ إِنَّهُمْ الْأَعْرَابُ، وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدًّا **لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ**، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ**»[(١)].

فمن فاته حظه الذي كان يرتجي من بره بوالديه.. فيمكن أن يُعَوِّض بصلة أهل ود أبيه، والحمد لله الذي جعل لعباده سُبُلًا منها يُعَوِّضُون، ومن خلالها يَستدرِكُون.

٥) تعدد النيات في العمل الواحد: فلو دخلت المسجد تنوي صلاة سنة الظهر مثلًا، فيمكن أن تضم إليها نية تحية المسجد، وسُنَّةَ الوضوء إذا كنت حديث عهدٍ به، وصلاة التوبة وصلاة الحاجة وغير ذلك، ويُرجى أن تحوز ثوابًا مستقلًّا على كل نية تنويها بإذن الله وفضله، وفي هذه المسألة تفصيلاتٌ مهمة يضيق عنها هذا الكتاب المختصر، فلتنظر في المُطَوَّلات الفقهية

٦) نشاط المرابط بكثرة العمل في الثغر: فإذا يسَّرَ الله لعبدٍ الرباطَ في الثغور فينبغي أن يحرص على الاستكثار من العمل؛ فإنه فرصةٌ ثمينةٌ للاستدراك؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ يقول: «**رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ**»[(٢)].

فقد دَلَّ الحديثُ على أنَّ من مات في ثغره فإنَّ أجرَ عملِه لا ينقطع إلى يوم القيامة، وأنه يُجعلُ بمنزلةِ المرابطِ الذي استدام رباطه إلى فناء الدنيا.

وهذا الفضل المُدهش يستحث كلَّ ساكنٍ للثغور -كغزة وبلاد الشام- أن يستحضر نية الرباط وحراسة البلاد والعباد، ثم لْيَبْقَ في كثرةٍ من العمل دومًا، فإن مات استُصحب له عملُهُ حال نشاطِهِ لا فتوره[(٣)]، وبهذا يكون قد استدرك

---

(١) صحيح مسلم، رقم الحديث: (٦٦٧٧).
(٢) صحيح مسلم، رقم الحديث: (٥٠٤٧).
(٣) الرباط وأحكامه في الفقه الإسلامي لمحمد بن محمد الأسطل ص (٨٧).

بنشاطه ما فاته في سالف حياته بامتداد عمله بعد وفاته.

ويشبه هذا الصدقةُ الجارية، والعلمُ الباقي الذي يُنتفع به، فليحرص المستدرِك أن يضرب له بسهمٍ في ذلك، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

٧) **الدَّعوةُ إلى الخير:** فإنها أصلُ ما يُمكن تلقيبه بـ «**سند الأجر المتصل**»، ونظرًا لضخامة فضل هذا الباب، بحيث لا يستغني عنه مُستدرِك تعال أضرب لك مثالًا تتضح به الفكرةُ وتَبين..

لو رجعت إلى الوراء قليلًا إلى بداية نشأتك فمن ذا الذي علَّمك تلاوة القرآن الكريم؟ ومن ذلك الذي علَّمك الصلاة؟ قد تستحضره وقد تجهله، لكن كل حرف تقرؤه هو في ميزان حسناته، وكل ركعةٍ تصليها هي في رصيد أجره!.

طيِّب! هذا الذي علمك وهداك من ذلك الذي علَّمه وهداه؟! قد يكون رجلٌ توفي في عام ١٣٨٠ هـ مثلًا، وأنت لا تعرفه قط، وربما ما سمعت به أبدًا، لكن كل عمل فعله صاحبك الذي علمك، وكل شخص اهتدى عليه، وكل ولد من ذريته لقنه الأحكام وربَّاه على الأخلاق هو في ميزان ذلك الرجل، مما يعني أنَّ أمَّة من الناس قد تكون تعمل، وما تعمل من خير إلا وله مثل أجره!!.

طيِّب! ذلك الرجل الذي قلنا إنه توفي عام ١٣٨٠ هـ من الذي علمه وربَّاه وهداه؟! إنه فلان بن فلان المُتوفى عام ١٣٤٥ هـ مثلًا، يعرفه ربه، ونجهله نحن، فيقال بشأنه ما قيل فيمن بعده!.

وهكذا نبقى نعود في سند الأجر، حتى يصل سندك إلى صحابيٍّ من الصحابة، كم طرق سمعُكَ، لكنك لا تعرف أنَّ كلَّ حسنة تعملها إنما هي في سجلات أعماله، فكأنه حيٌّ بيننا وما زال يعمل على مدار تلك القرون المتتابعة!.

وإنه إذا كان يوم القيامة، وانكشفت الأوراق، عرف كلُّ إنسانٍ رجالَ سَنَدِه،

فهلا كنت أنت اليوم أصلًا لسلسلةٍ تبقى ممتدةً بعدك، حتى تحوز عمل أمة من الناس وأنت مُوسَّد في قبرك؟!.

أناشدك الله أن تتخيل أنَّ كلَّ شخصٍ يفتح مصحفًا فيتلو أو يحفظ أو يكتفي بالنظر إنما هو في ميزان حسنات **عمر بن الخطاب وأبي بكر وزيد بن ثابت** رضي الله عنهم!؛ فإنَّ **عمر** رضي الله عنه هو من اقترح جمع المصحف من الصدور في السطور، ووافقه **أبو بكر** رضي الله عنه، والذي باشر الكتابة هو **زيد بن ثابت** رضي الله عنه!.

ورسالةُ هذا البند: أَلَا تستدرك على نفسك، وتُعَوِّض ما فاتك؛ بأن تَنْشَطَ في الدَّعوة؛ لعلَّ الله أن يُخْرِجَ على يديك مثل ابن القيم الذي عرف الحق على يد **ابن تيمية**، الذي يُرجى له أن يفوز بمثل أجر كلِّ حرفٍ سطره **ابن القيم** من تلك الكتب التي يشق حصرها؟!.

الفرع الثاني: استثمار أحاديث التفضيل:

يظهر أنَّ الصحابة رضي الله عنهم لتأخر بعضهم في الإسلام، أو لكثرة ما قضوا في الجاهلية، أو لفرط عنايتهم بالعمل الصالح والأجر الكثير كانوا يسألون بكثرةٍ ليس عن العمل الذي له فضلٌ فحسب؛ بل عن أفضل العمل.

ومن شواهد ذلك:

ما أخرج **مسلمٌ** في صحيحه عَنْ **جَابِرٍ** رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «طُولُ الْقُنُوتِ»[١]؛ أي: القيام؛ لأنَّ ذكر القيام القراءة، وذكر السجود التسبيح، والقراءةُ أفضل، ولأنَّ المنقول عن النبي ﷺ أنه كان يطول القيام

(١) صحيح مسلم، رقم الحديث: (١٤٢١).

أكثر من تطويل السجـــود[1]، ولعله كان يتأول بذلك قوله تعالـى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨]، أو لأنَّ القيام فيه القراءة وهي حق الله، أما السجود فيتركز فيه الدعاء، وهو حق العبد، فكان يزيد من حق الله على حظ نفسه.

وكذلك ما أخرج الشيخـــان من حديث **أبي هريرة** ﵁ قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قَالَ: «**أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى، وَلَا تُمْهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْحُلْقُومَ قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ**»[2].

وإنما فُضِّلت الصدقةُ حال الصحة؛ لأنَّ الشحَّ غالبٌ فيها، فإذا تصدق كان أصدق في نيته، وأعظم لأجره، بخلاف من أشرف على الموت، وأيس من الحياة، ورأى مصير المال لغيره.. فإنَّ صدقتَهُ حينئذ ناقصةٌ بالنسبة إلى حالة الصحة[3].

وجاء عند **مسلم** في صحيحه عن **النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ** قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ رَجُلٌ: مَا أُبَالِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أُسْقِيَ الْحَاجَّ..

وَقَالَ آخَرُ: مَا أُبَالِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أَعْمُرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ..

وَقَالَ آخَرُ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله أَفْضَلُ مِمَّا قُلْتُمْ..

فَزَجَرَهُمْ **عُمَرُ** وَقَالَ: لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ الله ﷺ، وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَلَكِنْ إِذَا صَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ دَخَلْتُ فَاسْتَفْتَيْتُهُ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ، فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ...﴾ الْآيَةَ إِلَى آخِرِهَا[4].

---

(١) شرح النووي على مسلم (٤/ ٢٠٠). وقد ذكر النووي هنا جملة الأقوال في المسألة، وتوجيه بعضها، والمذكور هو مذهب الشافعي وجماعة، فانظر المسألة هناك إن شئت.

(٢) صحيح البخاري، رقم الحديث: (١٤٢٠)، صحيح مسلم، رقم الحديث: (٢٤٢٩).

(٣) شرح النووي على مسلم (٧/ ١٢٣).

(٤) صحيح مسلم، رقم الحديث: (٤٩٧٩)، والآية في سورة التوبة ورقمها (١٩).

الفرع الثالث: استثمار العبادات اليسيرة التي تحمل أجور عبادات كبيرة:

تتجلى أهميةُ هذا النوع من الاستدراك أنَّ بعضَ الناس قد يتعذر عليه فعل بعض العبادات ذات الفضل الكبير، كما مرَّ بنا من حال فقراء المهاجرين لما شكوا سبق أهل الدثور عليهم بالإنفاق والإعتاق.

وقد لا يكون ذلك من باب التعذر؛ وإنما من باب المشقة والتعسر، فبعض الناس قد يشق عليه نوعٌ من العبادة بعينها؛ كالصيام أو القيام، ويريد أن يُعَوِّضَ ما يفوته من الفضل بالإكثار من الباب الذي فتحه الله له، وييسره عليه.

ولهذا لما راجع **عبد الله العمري** الإمامَ **مالكًا** في انصرافه الكليِّ للعلم كتب إليه: إنَّ الله قسَم الأعمال كما قسَم الأرزاق؛ فرب رجلٍ فُتِح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة، وآخر فُتِح له في الجهاد، ونشر العلم من أفضل أعمال البر، وقد رضيت بما فُتِح لي فيه، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر[1].

إذا عُلِم هذا؛ فإني أذكر هنا سبيل الاستدراك لثلاث عبادات -على جهة التمثيل- فيما لو فاتت: صلاة الجماعة، وقيام الليل، والجهاد في سبيل الله، ودونك بيان ذلك:

أولًا: استدراك فضل صلاة الجماعة:

فمن فاتت عليه صلاةُ الجماعة في يومٍ أو أكثر، ورغب في استدراك الفضل، فليحرص على صلاةٍ في السر، وعلى شهود الأذان في المسجد فيما يُستقبل من الزمن.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٨/ ١١٤).

فقد أورد **البوصيري** عن **صُهَيْبٍ** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صَلاَةُ الرَّجُلِ تَطَوُّعًا حَيْثُ لاَ يَرَاهُ النَّاسُ تَعْدِلُ صَلاَتَه عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ درجة»(١)! صححه الألباني.

وقال النبي ﷺ أيضًا: «إِنَّ الْمُؤَذِّنَ يُغْفَرُ لَهُ مَدَى صَوْتِهِ، وَيُصَدِّقُهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ يَسْمَعُهُ، وَلِلشَّاهِدِ عَلَيْهِ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ حَسَنَةً»(٢).

ثانيًا: استدراك فضل قيام الليل:

وذلك من خلال الأعمال التسعة الآتية:

١) **صلاة العشاء والفجر في جماعة:** فقد أخرج **مُسْلِمٌ** من حديث **عثمانَ بنِ عفان** رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ»(٣).

٢) **قراءة خواتيم البقرة:** فقد أخرج الشيخانِ عن **أبي مسعود البدري** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»(٤)، قال **الحافظ ابن حجر**: قوله: «كفتاه»؛ أي: أجزأتاه عن قيام الليل بالقرآن، وقيل غير ذلك، والقول المذكور ورد صريحًا من طريق **عاصم** عن **علقمة** عن **أبي مسعود** رَفَعَهُ: «من قرأ خاتمة البقرة أجزأت عنه قيام ليلة»(٥).

وقد أخرج **الدارميُّ** في سننه أنَّ عليًّا رضي الله عنه قال: «مَا كُنْتُ أَرَى أَنَّ أَحَداً يَعْقِلُ يَنَامُ

(١) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري، رقم الحديث: (١٦٤٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٣٨٢١).
(٢) مسند إسحاق بن راهويه، رقم الحديث: (١٥٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) صحيح مسلم، رقم الحديث: (١٥٢٣).
(٤) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٤٠٠٨)، صحيح مسلم، رقم الحديث: (١٩١٤).
(٥) فتح الباري لابن حجر (٩/ ٥٦) وانظر أيضًا شرح النووي على مسلم (٦/ ٩١-٩٢).

حَتَّى يَقْرَأَ هَؤُلاَءِ الآيَاتِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَإِنَّهُنَّ لَمِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ»[١]!.

٣) **قراءة خواتيم آل عمران**: فقد أخرج **الدارميُّ** في سننه أيضًا عَنْ **عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ** رضي الله عنه قَالَ: «مَنْ قَرَأَ آخِرَ آلِ عِمْرَانَ فِي لَيْلَةٍ.. كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ»[٢].

وهذا الخبر ثمةَ من ذهب إلى أنه لم يثبت عن النبي ﷺ، ولا داعي للتشدد في ذلك؛ لأنه ثبت عن **عثمان** رضي الله عنه، والظاهر أنَّ الصحابيَّ لا يُخْبِرُ بأجرٍ إلا وقد سمعه، وعلى كلٍّ فَحَتَّى لو ثبتَ ضعفُهُ.. فقد ثبت فعل النبي ﷺ بما تضمنه؛ إِذْ إِنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا استيقظ من النوم يقرأ هذه الآيات وهو ينظر إلى السماء كما ورد في الصحيحين[٣].

٤) **نية القيام**: فقد أخرج **النسائي** في سننه عنْ **أَبِي الدَّرْدَاءِ** رضي الله عنه أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى أَصْبَحَ كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[٤] صححه الألباني.

وهذه الأعمال الأربعة الأولى يمكن فعلُها في كل ليلة من غير مشقة.

٥) **القيام بمائة آية**: فقد أخرج **أحمد** في مسنده عَنْ **تَمِيمٍ الدَّارِيِّ** رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ بِمِائَةِ آيَةٍ فِي لَيْلَةٍ كُتِبَ لَهُ قُنُوتُ لَيْلَةٍ»[٥]. صححه الألباني، وحسنه شعيب الأرنؤوط بشواهده.

٦) **إتمام صلاة التراويح مع الإمام بما في ذلك صلاةُ الوتر**: فقد أخرج أصحاب السنن عن **أبي ذرٍّ** رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ.. كُتِبَ

---

(١) سنن الدارمي، رقم الأثر: (٣٤٢٧).
(٢) سنن الدارمي، رقم الأثر: (٣٤٣٩).
(٣) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٤٥٦٩)، صحيح مسلم، رقم الحديث: (٦١٩).
(٤) سنن النسائي، رقم الحديث: (١٧٨٦).
(٥) مسند أحمد، رقم الحديث: (١٦٩٥٨).

لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ»[١]. صححه الألباني.

٧) الغسل يوم الجمعة والتبكير للخطبة: فقد أَخْرَجَ أَصْحَابُ السُّنَنِ من حَدِيثِ أوسِ بنِ أوس الثقفي قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ، ثُمَّ بَكَّرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ، وَدَنَا مِنَ الإِمَامِ فَاسْتَمَعَ، وَلَمْ يَلْغُ.. كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا»[٢] صححه الألباني.

٨) الرباط على الثغور: فقد أخرج مُسْلِمٌ في صَحِيحِهِ عن سلمان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ..»[٣].

٩) رعاية الأرملة والمسكين: ففي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله، أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ»[٤].

ثالثًا: استدراك فضل الجهاد في سبيل الله:

وذلك من خلال الأعمال الخمسة الآتية:

١) كفالة المجاهدين وأهلهم: فقد أخرج الشيخان عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ الله فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا»[٥].

---

(١) سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٣٧٧)، سنن الترمذي، رقم الحديث: (٨٠٦)، سنن النسائي، رقم الحديث: (١٣٦٣)، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (١٣٢٧) واللفظ للترمذي.

(٢) سنن أبي داود، رقم الحديث: (٣٤٥)، سنن النسائي، رقم الحديث: (١٣٨٠)، سنن الترمذي، رقم الحديث: (٤٩٦)، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (١٠٨٧) واللفظ لأبي داود.
وقد فصلت في شرح الحديث في كتاب «دليل المعتكف» ص (١٥٤-١٥٥).

(٣) صحيح مسلم، رقم الحديث: (٥٠٤٧).

(٤) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٥٣٥٣). صحيح مسلم، رقم الحديث: (٧٦٥٩) واللفظ للبخاري.

(٥) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٢٨٤٣). صحيح مسلم، رقم الحديث: (٥٠١١).

٢) رعايـة الأرملـة والمسـكين: ففـي الصحيحـين عَـن أَبِي هُرَيْـرَةَ رضي الله عنه قَـالَ: قَـالَ النَّبِـيُّ ﷺ: «السَّـاعِي عَـلَى الْأَرْمَلَـةِ وَالْمِسْـكِينِ كَالْمُجَاهِـدِ فِي سَـبِيلِ الله، أَوْ الْقَـائِمِ اللَّيْـلَ الصَّـائِمِ النَّهَـارَ»[١].

٣) الإكثـار مـن ذكـر الله: فقـد أخـرج الطـبرانيُّ عَـنْ أَبِي أُمَامَـةَ رضي الله عنه قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ الله ﷺ: «مَـنْ هَالَـهُ اللَّيْـلُ أَنْ يُكَابِـدَهُ، وبَخِـلَ بِالْمَـالِ أَنْ يُنْفِقَـهُ، وجَبُـنَ عَـنِ الْعَـدُوِّ أَنْ يُقَاتِلَـهُ.. فَلْيُكْثِـرْ مِـنْ «سُـبْحَانَ الله وَبِحَمْـدِهِ»؛ فَإِنَّهَـا أَحَـبُّ إِلَى الله مِـنْ جَبَـلِ ذَهَـبٍ يُنْفِقُـهُ فِي سَـبِيلِ الله عَـزَّ وَجَـلَّ»[٢]. قـال الألبـاني: صحيـح لغيره.

ونصُّ الروايةِ الأخرَى: «مَنْ فاتَه اللَّيْلُ أَنْ يُكَابِدَهُ»[٣].

وروى الترمـذي وابـن ماجـه عَـنْ أَبِي الـدَّرْدَاءِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ قَـالَ: «أَلَا أُنَبِّئُكُـمْ بِخَـيْرِ أَعْمَالِكُـمْ، وَأَرْضَاهَـا عِنْـدَ مَلِيكِكُـمْ، وَأَرْفَعِهَـا فِي دَرَجَاتِكُـمْ، وَخَـيْرٍ لَكُـمْ مِـنْ إِعْطَـاءِ الذَّهَـبِ وَالْـوَرِقِ، وَمِـنْ أَنْ تَلْقَـوْا عَدُوَّكُـمْ فَتَضْرِبُـوا أَعْنَاقَهُـمْ وَيَضْرِبُـوا أَعْنَاقَكُـمْ»؟! قَالُـوا: وَمَـا ذَاكَ يَـا رَسُـولَ الله؟ قَـالَ: «ذِكْـرُ الله»[٤]!.

٤) الصـدح بالحـق عنـد الحاكـم: فـروى أصحـاب السـنن عَـنْ طَـارِقِ بْـنِ شِـهَابٍ أَنَّ رَجُـلًا سَـأَلَ النَّبِـيَّ ﷺ -وَقَـدْ وَضَـعَ رِجْلَـهُ فِي الْغَـرْزِ-: أَيُّ الْجِهَـادِ أَفْضَـلُ؟ قَـالَ: «كَلِمَـةُ حَـقٍّ عِنْـدَ سُـلْطَانٍ جَائِـرٍ»[٥].

٥) تحسـين الوضـوء والصـلاة: فقـد أخـرج النسـائي وابـن ماجـه عَـنْ عَاصِـمِ بْـنِ

---

(١) صحيـح البخـاري، رقـم الحديـث: (٥٣٥٣). صحيـح مسـلم، رقـم الحديـث: (٧٦٥٩) واللفـظ للبخـاري.
(٢) مسند الشاميين للطبراني، رقم الحديث: (١٧٤).
(٣) المعجم الكبير للطبراني (٨/ ٢٢٠).
(٤) سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٣٧٧)، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٧٩٠).
(٥) سـنن أبي داود، رقـم الحديـث: (٤٣٤٦)، سـنن الترمـذي، رقـم الحديـث: (٢١٧٤). سـنن النسـائي، رقـم الحديـث: (٤٢٢٠)، سـنن ابـن ماجـه، رقـم الحديـث: (٤٠١٢) واللفـظ للنسـائي.

سُفْيَانَ الثَّقَفِيِّ أَنَّهُمْ غَزَوْا غَزْوَةَ السَّلَاسِلِ فَفَاتَهُمْ الْغَزْوُ، فَرَابَطُوا ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى مُعَاوِيَةَ وَعِنْدَهُ أَبُو أَيُّوبَ وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، فَقَالَ عَاصِمٌ: يَا أَبَا أَيُّوبَ، فَاتَنَا الْغَزْوُ الْعَامَ، وَقَدْ أُخْبِرْنَا أَنَّهُ مَنْ صَلَّى فِي الْمَسَاجِدِ الْأَرْبَعَةِ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ، فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي أَدُلُّكَ عَلَى أَيْسَرَ مِنْ ذَلِكَ؛ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ تَوَضَّأَ كَمَا أُمِرَ، وَصَلَّى كَمَا أُمِرَ غُفِرَ لَهُ مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ»، أَكَذَلِكَ يَا عُقْبَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ»[١] صححه الألباني.

أي توضأ وصلى كما أمره الله من استيعاب الشروط والفروض، وعندئذٍ يغفر له ما عمل من السيئات[٢].

بقي في ختام المطلب أن يُقال:

إنَّ من لم يَستطِع أن يَستدرِك، وكان صادقًا في قصده، حَمَلَتْهُ نيَّتُه، دلَّ على هذا نصوصٌ وردت في أعمالٍ بعينها، ومن ذلك:

ما أخرج **مسلمٌ** في صحيحه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»[٣]. فدل الحديث على انتفاع الرجل بنيته الخير، وسؤاله له.

وأخرج **ابن ماجه** عَنْ **أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَثَلِ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ فِي مَالِهِ يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ،...»[٤].

---

(١) سنن النسائي، رقم الحديث: (١٤٤)، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (١٣٩٦).
(٢) فيض القدير للمناوي (٦/ ١٤٢).
(٣) صحيح مسلم، رقم الحديث: (٥٠٣٩).
(٤) سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٤٢٢٨).

بل إنَّ مُجرَّد حبِّ الرجل لأهل الصَّلاحِ والفضل ينفعه، ويجعله معهم؛ فقد أخرج **البخاري ومسلمٌ** من حديث **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»**[1]!.

وأخرج **أبو داود** عَنْ **أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُ أَصْحَابَ رَسُولِ الله ﷺ فَرِحُوا بِشَيْءٍ لَمْ أَرَهُمْ فَرِحُوا بِشَيْءٍ أَشَدَّ مِنْهُ؛ قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، الرَّجُلُ يُحِبُّ الرَّجُلَ عَلَى الْعَمَلِ مِنَ الْخَيْرِ يَعْمَلُ بِهِ وَلَا يَعْمَلُ بِمِثْلِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»**[2].

وروى **الترمذي** في سننه عن **أنسٍ** رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَتَى قِيَامُ السَّاعَةِ؟ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الصَّلَاةِ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ: **«أَيْنَ السَّائِلُ عن قِيَامِ السَّاعَةِ»**؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: أَنَا يَا رَسُولَ الله قَالَ: **«مَا أَعْدَدْتَ لَهَا»**؟ قَالَ: يَا رَسُولَ الله مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، وَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»**، فَمَا رَأَيْتُ فَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرَحَهُمْ بِهَذَا»[3]!. صححه الألباني.

ولعلَّ الله أكرمَهُ بِجَعْلِه معهم وإن لم يلحق بهم في العمل؛ لأنه أحبهم من أجل طاعتهم لله، والمحبةُ عملٌ من أعمال القلوب، فأثابه الله ثواب الصالحين لحسن نيته؛ لأنَّ النيةَ هي الأصل والعمل تابعٌ لها، والله يؤتي فضله من يشاء[4].

على أنه لا يلزم من كونه معهم أن تكون منزلته وجزاؤه مثلهم من كلِّ وجه[5].

---

(١) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٦١٦٩)، صحيح مسلم، رقم الحديث: (٦٨٨٨).
(٢) سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥١٢٩).
(٣) سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٣٨٥).
(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٣٣٣).
(٥) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٨٦).

المطلب الخامس

استثمار المواقف الفاصلة

ربما مرَّت مواقفُ فارقةٌ في حياةِ الإنسان، تعرَّض فيها لضغطٍ شديد، أو حرجٍ شديد، أو خطرٍ شديد، أو غير ذلك، فلم يعانِد القدر، ولم يَضِق به ذرعًا أو يتبرم أو يمض في غيِّه؛ بل التقط الرِّسَالة، وعدَّها رياحه التي هبَّت وعليه أن يغتنمها، فعدَّل الاتجاه، وصوَّب المسير، ثم بدأ يستدرك ما فات بالتعويض المُركَّز فيما هو آت، حتى بلغَ ما بلغ من الدرجات.

ودونك خمسةَ شواهد من أخبار هؤلاء:

الأول: ما ذكره **ابن هشام** في كتابه «مغني اللبيب» في مبحث «ليس»، وأنها قد تكون حرف استثناء، فتكون حينئذٍ حرفًا ناصبًا للمستثنى بمنزلة «إلا»؛ نحو: «أتوني ليس زيدًا» قال: وهذه المسألة كانت سبب قراءة سيبويه النحو..

وذلك أنه جاء إلى **حماد بن سلمة** لكتابة الحديث، فاستملى منه قوله ﷺ: «**ليس من أصحابي أحدٌ إلا ولو شئت لأخذت عليه[1] ليس أبا الدرداء**» فقال **سيبويه**: ليس أبو الدرداء، فصاح به **حماد**: لحنت يا سيبويه؛ إنما هذا استثناء، فقال **سيبويه**: والله لأطلبن علمًا لا يلحنني معه أحد، ثم مضى ولزم الخليل وغيره[2]، ونبغ فيه

(١) لأخذت عليه: من المؤاخذة؛ وهي المعاتبة، والمراد: لعاتبته، والسر في ذلك: كثرة حياء أبي الدرداء، وكثرة أفعاله الحسنة، وعدم فعله ما يقتضي المعاتبة.

(٢) مغني اللبيب لابن هشام (١/ ٩٨٧)، وجاء الخبر كذلك في تاريخ العلماء النحويين لأبي المحاسن التنوخي ص (٨)، وفي الجامع لآداب الراوي وأخلاق السامع للخطيب البغدادي (٢/ ٦٧).

حتى أصبح إمام المدرسة البصرية في النحو، بل أصبح إمام النحاة إلى يوم القيامة، بذلك الكتاب الذي ألفه، مع أنه فارسي، وتوفي وعمره اثنان ثلاثون عامًا على المشهور كما مر!.

الثاني: تعلم الإمام **الكسائي** النحو على الكِبَر، وكان سبب تعلمه أنه جاء يومًا وقد مشى حتى أعيى، فجلس إلى قوم فقال: «قد عَيَّيْتُ»، فقالوا له: أتجالسنا وأنت تلحن! قال: كيف لحنت؟ قالوا له: إن كنت أردت من التعب فقل: «قد أَعْيَيت»، وإن أردت من انقطاع الحيلة والتحير في الأمر فقل: «عَيِيت» مخففة.

فأنف من هذه الكلمة، وقام من فوره ذلك، فسأل عمن يعلم النحو، فأرشدوه إلى معاذ الهراء فلزمه، حتى أنفد ما عنده، ثم خرج إلى البصرة فلقي **الخليل**، وجلس في حلقته، فقال **للخليل**: من أين أخذت علمك هذا؟ قال: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، فخرج ورجع وقد أنفد خمس عشرة قنينة حبرًا في الكتابة عن العرب، سوى ما حفظ!.

وبقي كذلك حتى بلغ ما بلغ من الرسوخ فيه، وأصبح إمام مدرسة الكوفة في النحو، حتى إن العلماء ليختلفون إليه.

ومن لطيف ما ذُكر أن الإمام **الفراء** قال: قال لي قوم: ما اختلافك إلى الكسائي وأنت مثله في العلم؟ فأعجبتني نفسي، فناظرته، فكأني كنت طائرًا يشربُ من بحر[1]!.

ولعلك تلاحظ أنَّ ثقافة هؤلاء أنهم يأنفون من النقص، وأنه لا يروق لهم بالٌ حتى يستدركوا على أنفسهم من فورهم، ويُفرِّغوا طاقتهم ومشاعرهم في العمل لا في التبرير والاتهامات والدفاع عن النفس، ويسهل على الواحد منهم أن يقول عن

(١) الأنساب للسمعاني (٥/ ٦٦).

نفسه: «فأعجبتني نفسي»! وأن يقول عن مُناظره الذي يجتهد في إفحامه والغلبة عليه: «فكأني كنت طائرًا يشرب من بحر»!.

فيالله كم لمعرفة سعر النفس في سوق الرجال والخصال من دور جليل في اختصار السبيل لمن رام الاستدراك على نفسه، والتعويض لما فاته!.

الثالث: ورسالة هذا الخبر وما بعده أنَّ الاستدراكَ مُمكِنٌ ولو لأصحاب الكبائر.

فإنه لما كان يوم القادسية أتي **سعد بن أبي وقاص بأبي محجن** وهو سكران من الخمر، فأمر به فقُيِّد، وكان **بسعد** جراحة فاستعمل على الخيل **خالد بن عرفطة**، وصعد **سعد** فوق البيت لينظر ما يصنع الناس، فجعل **أبو محجن** يتمثل الشعر قائلًا:

كفى حزنًا أن ترتدي الخيل بالقنا   وأُتْرَك مشدودًا عليَّ وثاقيا

ثم قال لامرأة **سعد**، وهي **بنت خصفة**: ويلك! خليني، فلَكِ الله عليَّ إن سلمتُ أن أجيء حتى أضع رجلي في القيد، وإن قُتلت استرحتم مني، فخلته، ووثب على فرسٍ **لسعد** يقال لها: البلقاء، ثم أخذ الرمح وانطلق حتى أتى الناس، فجعل لا يحمل في ناحيةٍ إلا هزمهم الله، فجعل الناس يقولون: هذا مَلَك!.

أما **سعد** فكان ينظر في دهشة، فجعل يقول: الضبر ضبر البلقاء[1]، والطفر طفر **أبي محجن**[2]، **وأبو محجن** في القيد! فلما هزم العدو رجع **أبو محجن** حتى وضع رجله في القيد، فأخبرت **بنت خصفة سعدًا** بالذي كان من أمره، فقال: لا والله لا أحدُّ اليوم رجلًا أبلى الله المسلمين على يديه ما أبلاهم!.

(١) الضبر: أن يجمع الفرس قوائمه ويثب. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣/ ٧٢).
(٢) الطفر: وثبة في ارتفاع. انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٣/ ٣٣٠).

قـال: فخلى سـبيله، فقـال **أبـو محجـن**: لقـد كنـت أشربهـا إذ كان يقـام عـلي الحَـدُّ أَطْهُـر منهـا، فأمـا إذا بهرجتنـي فـوالله لا أشربهـا أبـدًا[1].

فانظـر لهـذا المدمـن عـلى شرب الخمـر؛ كيـف ظهـرت بعـضُ نقـاط القـوة عنـده في موقـفٍ فاصـل؛ فهـو يـزدري نفسـه في نفسـه، حتـى إنـه ليُـصَرِّح قائـلًا: «وإن قُتلـت اسـترحتم منـي»، وهـو يغـار مـن الخيـل أن تدخـل المعركـة دونـه، ويريـد أن يفتـك بأعـداء الله، ويُعز ديـن الله، ثـم إنـه كان مطمئنًّا؛ إذ يـشرب الخمـر اتـكالًا عـلى أنَّ جَلْدَهُ الحَـدَّ يُطهـره منهـا، أمـا وقـد توقـف الحـد فـإنَّ هـذا زاجـرٌ يحملـه عـلى تركهـا؛ لئـلا يُعاقـب عليهـا يـوم القيامـة، ثـم إنـه سـعى بنفسـه للقتـال دون طلـبٍ مـن أحـد، وأخفـى نفسـه لمـا أحسـن وبعـد أن أحسـن، وعـاد إلى موضعـه، ولم يذهـب لقـادة المعركـة يفاخـر بـما صنـع، وانتهـى الأمـر باسـتدراك الرجـل عـلى نفسـه، وحسـن بلائـه واسـتقامته، والله يهـدي مـن يشـاء إلى صراطٍ مسـتقيم.

الرابـع: كان **الفضيـل بـن عيـاض** يقطـع الطريـق، وكان سـببُ توبتـه أنـه عشـق جاريـةً، فبينـا هـو يرتقـي الجـدران إليهـا إذ سـمع تاليًـا يتلـو: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديـد:١٦]، فلـما سـمعها قـال: بـلى يـا رب قـد آن! فرجـع، فـآواه الليـل إلى موضـعٍ فيـه قـوم يريـدون الارتحـال، فقـال بعضهـم: نرتحـل، وقـال بعضهـم: حتـى نصبـح؛ فـإنَّ فُضيـلًا عـلى الطريـق يقطـع علينـا! قـال: ففكـرت وقلـت: أنـا أسـعى بالليـل في المعـاصي، وقـومٌ مـن المسـلمين ههنـا يخافونني، ومـا أرى الله سـاقني إليهـم إلا لأرتـدع!، اللهـم إني قـد تبـت إليـك، وجعلـتُ توبتـي مجـاورة البيـت الحـرام[2].

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٧/ ٣٦١-٣٦٢).
(٢) تهذيب الكمال للمزي (٢٣/ ٢٨٥-٢٨٦).

وقصد مكة، وسكن بها، واشتغل بالعبادة، حتى لُقِّب بعابد الحرمين، والله يؤتي فضله من يشاء.

الخامس: خبر القعنبي، وإنه لخبرٌ عجيب!.

قال بعض ولده: كان أبي يشرب النبيذ، ويصحب الأحداث، فدعاهم يومًا وقد قعد على الباب ينتظرهم، فمر الإمام المحدث **شعبةُ بن الحجاج** على حماره والناس خلفه يُهرعون، فقال: من هذا؟ قيل: شعبة، قال: وأيش شعبة؟ قالوا: محدث، فقام إليه وعليه إزارٌ أحمر فقال له: حدثني!.

فقال له: ما أنت من أصحاب الحديث فأحدثك، فأشهَر سِكِّينه وقال: تحدثني أو أجرحك؟! فقال له: حدثنا **منصورٌ** عن **ربعي** عن **أبي مسعود** قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا لم تستح فاصنع ما شئت»!**، فوقعت الكلمة في نفسه موقعها، فرمى سكينه، ورجع إلى منزله، فقام إلى جميع ما كان عنده من الشراب فهراقه عليه، وقال لأمه: الساعة أصحابي يجيئون فأدخليهم وقدمي الطعام إليهم، فإذا أكلوا فخبريهم بما صنعت بالشراب حتى ينصرفوا!.

ومضى من وقته إلى المدينة، فلزم **مالكَ بن أنس** يأخذ عنه، ثم رجع إلى البصرة فيأخذ عن شعبة، فوجده قد مات، وما سمع منه غير ذلك الحديث[1]!.

فرحل إلى المدينة النبوية، ولزم الإمام **مالكًا**، حتى صار أوثق رواة الموطأ، وهكذا كانت لتلك الكلمات النبوية نورها التي أضاءت قلبه المنطفئ، فتحرر من رعونات نفسه، وتساقطت منه الأغشية التي غلفته بالأهواء والشهوات، وبعد أن كان شابًّا تائهًا شاردًا عن صراط الله أصبح ربانيًّا عابدًا عالمًا محدثًا[2].

---

(١) التوابين لابن قدامة ص (١٣٩).
(٢) الحسرات فيمن رحل للسماع على محدث فوجده قد مات لمحمد بن عزوز ص (١٢).

ترجم له الإمام **الذهبي** فقال: هو عبد الله بن مسلمة بن قعنب، الإمام الثبت القدوة شيخ الإسلام، وأطال في ذلك، ومما جاء في ترجمته ما مفاده:

كان **القعنبي** من شيوخ **البخاري ومسلم وأبي داود**، وهو أكبر شيخٍ **لمسلم**، وقال **نصر بن مرزوق**: أثبت الناس في «موطأ الإمام مالك» القعنبي، ولا يقدم أحدٌ من رواته عليه.

وقال **البلخي** الفقيه: ما رأيت أحدًا إذا رؤي ذكر الله تعالى إلا القعنبي، فكان إذا مر يقول الناس: لا إله إلا الله!.

ولما قدم من سفر قال **مالك** لمن عنده: قوموا بنا إلى خير أهلِ الأرض![1].

لو قارنت بين هذه الشهادة التي خرجت من أعلم أهل الأرض يومها وبين حاله مع أصحابه وهو مقيمٌ على الكبائر لعرفت أثر الاستدراك في حياته.

وإن الذي يشد أذهان النبلاء ليس أن **القعنبي** قد تاب فحسب؛ بل أنه أصبح عابدًا، وأخذ يطلب العلم حتى وصل فيه إلى الإمامة، حتى إنَّ البخاريَّ ومسلمًا وأبا داود من جملة من أخذ عنه!.

فعلًا إنَّ الله يعطي، وإذا أعطى أدهش، فأكثر من الإلحاح عليه أن يعطيك، ويفتح لك، ويتفضل عليك.

وبقيت كلمةٌ في نفسي لا بد من إثباتها وهي أنَّ **التربيةَ بالكلمات المؤلمة قد تُؤلِمُ فعلًا؛ لكنها تبني حقًّا**، فإذا آلمك شيخٌ أو أبٌ أو أمٌّ أو مدرسٌ أو صديقٌ أو جارٌ أو غيرهم بكلمةٍ ينصحك بها، وعددتها ثقيلةً جدًّا عليك.. فلا تبتئس، بل تَحَمَّل ألمَ الخجلِ والحرج قليلًا، ثم استثمر هذه الكلمة التي لن تنسيك إياها أحداثُ

---

(١) انظر هذه الأقوال في سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/ ٢٥٧-٢٦٤).

الأيـام، وإذا أخـذت في طريـق الاسـتدراك، حتـى بلغـت فيـه شـأوًا عظيـمًا فظنـي الغالـب أنـك لـن تنسـى فضـلَ صاحـبِ الكلمـةِ عليـك، وربـما قصدتـه تشـكره وتثني عليـه إذ نطـق بهـا.



المطلب السادس

تَملُّك مفاتيحِ الاستدراك

مـن فقـه الاسـتدراك تَمَلُّـكُ مفاتيحِـه، والتفاعـلُ معهـا، وهنـا تركيـزٌ عـلى طائفـةٍ منهـا، عـلى أنَّ بعضَهـا قـد تقدمـت لـه عبـارةٌ أو إشـارة، لكـن **الإعـادة لا تخلـو مـن إفـادة**، ودونـك تعـدادَ أربعـةٍ مـن تلـك المفاتيـح:

أولًا: حسم الشكل النهائي للشخصية:

ولـو تَطلَّـبَ ذلـك أن تعتـزل النَّـاس أيامًـا لإنجـازه؛ فليـس إنفـاقُ أسـبوعٍ في ذلـك بوقـتٍ ضائـعٍ إذا كان بـه حفـظُ بقيـةِ العمـر.

وذلـك أنَّ أكثـرَ الجهـودِ الاسـتدراكية تنبنـي عليـه، فيتعيـن عـلى مشـيك أن يكـون ذا قصـد، تعـرف أيـن تقـف وإلى أي جهـة تقصـد؟، تيمنًـا بحرفيـة قـول الله: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ﴾ [لقمان:١٩]، أي اجعلـه ذا قصـد كـما قـال بعضهـم.

ثـم لتتعاهـد مسـيرتك بجلسـاتٍ تقويميـةٍ في ختـام كلِّ شـهرٍ وسَـنة، فتُثَبِّـت الحسـنات، وتواصـل الإنجـازات، وتُلقِـيَ بالآفـات والسـيئات في سـلة المهمـلات.

ثانيًا: تقبل النصيحة:

فهذه تختصر كثيرًا من الجهد على من رام الاستدراك.

ولهـذا فمـن جـاءك وقـال لـك: هـذا صـوابٌ وهـذا خطـأ، ودعـاك: إلى الهـدى ائتنـا.. فكـن لينًـا معـه، وتفاعـل مـع قولـه، **ولا تُفسـد مضمـون النصـح البليـغ بسـوء التبريـر والتسـويغ**، وكأنَّ نفسـك غاليـةٌ عنـدك حتـى إنـك لا تسـمح لأحـدٍ أن يمسـها،

ولـو بنصيحـةٍ تُقلُّهـا مـن عثراتهـا، وتأخـذ بهـا إلى مـا فيـه خيرُهَـا وعزُّهـا ومجدُهـا.

إنَّ **الحسـنَ البـصريَّ** جعـل نصيحـة الأخ ثلـث العيـش الطيـب الـذي بقـي لـه مـن زينـة الحيـاة الدنيـا إذ قـال: **لم يبـق مـن العيـش إلا ثـلاث: أخٌ لـك تُصِيـب مـن عشرتـه خـيرًا، فـإن زُغـت عـن الطريـق قوَّمـك، وكفـافٌ مـن عيـشٍ ليـس لأحـدٍ عليـك فيـه تَبِعَـة، وصـلاةٌ في جمـع تُكْفَـى سـهوَها وتسـتوجب أجرهـا**[١]!.

فزينـة الحيـاة عنـده في جيـل التابعـين كانـت ترتفـع عـن الأرض وتتناقـص عنـده حتـى لم يبـق منهـا إلا هـذه الثـلاث التـي يتقدمهـا الأخ الناصـح المُقَـوِّم لاعوجـاج أخيـه، فكـم ثمـن بقيـة الزينـة هـذه في يومنـا هـذا[٢]؟!.

ولهـذا لا حـرج مـن التصريـح بـأنَّ مـن علائـم الصـادق أنـه يفـرح بالنصيحـة، أمـا الـكاذب فيردهـا، وقـد وصـف الله الكاذبـين ببغضهـم للناصحـين إذ قـال: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعـراف:٧٩].

بـل للناصـح الحـق في أن يُسـقِطَ مـن عينـه مـن يـرد نصيحتـه، وأن يسـتن بسُـنَّة الشـافعي التـي بيَّنَهـا في قولـه: «**مـا نصحـت أحـدًا فقبـل منـي إلا هِبتُـهُ، واعتقـدت مودتـه، ولا رد أحـد عـلي النصـح إلا سـقط مـن عينـي ورفضتـه**»[٣].

ثالثًا: المرونة في اتخاذ القرار:

إذا شـعرت أنَّ الحِكمـةَ تأخـذ بـك إلى فضـاءٍ لم يكـن مـن قصـدك الارتحـالُ إليـه فـلا تتشـبث بمقرراتـك السـابقة، وقناعاتـك القديمـة؛ وإنـما تَعَـاطَ مـع مـا فتـح الله بـه عليـك، فسـيبويه ذُكِـر عنـه أنـه أراد علـم الحديـث، ولم يجـد نفسـه فيـه، ووجدهـا في

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٦/ ٩٩).
(٢) العوائق لمحمد أحمد الراشد (٢/ ٣١).
(٣) العوائـق لمحمـد أحمـد لراشـد (٢/ ٣١)، وقـد توسـع في موضـوع النصيحـة بـما يحسـن الوقـوف عليـه.

النحـو، فأخـذ قـرارًا جريئًـا بتغيـير الاتجـاه، وفتـح الله عليـه.

ومـن العقـل أنَّ الناصـح لـو تحـدث معـك بـما فيـه تعديـلٌ عـلى خريطـة مسـارك ألا تشـاغب عليـه؛ بـل أحسـن الإنصـات والإصغـاء جيـدًا إليـه؛ فربـما حمـل كلامُـه نفعًـا وخـيرًا، وليـس بـشرطٍ أن تطاوعـه؛ وإنـما الفـرض أن تَنظُـرَ الخـيرَ في أيِّ موضـعٍ وتتبعـه، سـواء كان عـلى لسـانك أو لسـانه، ولا يتأتـى هـذا إلا لمـن كان مرنًـا متفتـح العقـل كـما يُقـال.

ونتيجـة التفاعـل مـع ذلـك قـد سـطرها الدكتـور **عبـد الكريـم بـكار** بقولـه: فإنّنـا حـين نتعامـل مـع مشـكلاتنا بعقـلٍ مفتـوحٍ وبمرونـةٍ ذهنيّـةٍ جيـدة.. فإنـه يمكـن الاسـتدراك والتـلافي لكثـيرٍ مـن النقـص في عمليـات التّشـخيص والتقويـم[١].

ومـن أكثـر الشَّـواهدِ إعـمالًا في نفسـي سرعـة القـرار عنـد **عمـر بـن الخطـاب** رضي الله عنه متـى بـدا لـه صوابـه، ومـن أمثلـة ذلـك في حياتـه: أنـه لمـا وجـد قريشًـا قـد احتـارت في أمـر النبـي ﷺ أخـذ قـرارًا بقتلـه، واسـتعد لإنفـاق روحـه في سـبيل إنهـاء الأزمـة التـي أربكـت مكـة، وفي الطريـق علـم بإسـلام أختـه فغـير طريقـه إلى بيتهـا لينظـر الأمـر ويحسـمه، وقـدَّر الله أن آيـات القـرآن كانـت تتُـلى لحظـة وصولـه، فلـما دخـل البيـت وحـدث مـا هـو مشـهورٌ مـن القصـة، وتـلا فواتـح سـورة طـه تأثـر بهـا جـدًّا وقـال فـورًا: مـن هـذا فـرت قريـش[٢]؟!.

وقـرر الدخـول في الإسـلام مـن سـاعته، وذهـب للنبـي ﷺ وأعلـن الإسـلام، وعـرض عـلى النبـي ﷺ الجهـر بـه، فوافقـه، وخـرج بالمسـلمين في صَفَّـين يتقـدم أحدَهمـا ويتقـدم الآخـرَ حمـزة رضي الله عنه!.

(١) مقالات وبحوث الدكتور عبد الكريم بكار ص (٢٩).
(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١٠٠).

فانظر إلى سرعة انعطافه لما يراه من الحق، وما بين قرار قتل النبي ﷺ وقرار الدخول في الإسلام والجهر به سوى ساعةٍ أو أقل!.

ومع تقرير هذا المبدأ إلا أنه يلزم التنويه على أنه كما يلزم المرونة في اتخاذ القرار يلزم عدم التردد فيه، وأحسن الله إلى من قال:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة ... فإنَّ فسادَ الرأي أن تتــــرددا

ومن المواقف النبوية في ذلك أنَّ المشركين لما بلغوا جبل أحد فرح المسلمون الذين لم يشهدوا بدرًا بقدوم العدو عليهم؛ ليستدركوا من الفضيلة ما حاز إخوانهم يوم بدر، وقالوا: قد ساق الله إلينا أمنيتنا!

وكان من رأيه ﷺ أن يمكثوا في المدينة، وذكر رؤيا رآها ترشد إلى ذلك.

وبموجب هذا الرأي إذا دخل الكفار في أزقة المدينة قاتلهم المسلمون ورموهم من فوق البيوت، وكانوا قد سكوا أزقة المدينة بالبنيان حتى صارت كالحصن.

فقال الذين لم يشهدوا بدرًا: كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله، فقد ساقه الله إلينا وقرب المسير!.

واعتمد هذا الرأي جمهور الشباب، واستطاعوا بكثرتهم وحماستهم أن يوجهوا النفوس إلى هذا القرار، فنزل النبي ﷺ عند رأيهم، واتخذ الأُهبةَ لمناجزة العدو خارج المدينة.

فلما رأى ذلك رجالٌ من ذوي الرأي قالوا: أمرنا رسول الله ﷺ أن نمكث بالمدينة وهو أعلم بالله وما يريد، ويأتيه الوحي من السماء، فقالوا: يا رسول الله، امكث كما أمرتنا، فقال: «**ما ينبغي لنبيٍّ إذا أخذ لأمة الحرب، وأذن بالخروج إلى**

العـدو أن يرجـع حتـى يقاتـل»[١].

وشاهد ذلك من التنزيل قول الله تعالى في التعقيب على الغزوة:

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وذكـر الشـيخ **محمد الغزالي** سـؤال «ديـل كارنيجي» لـ«وايـت فلبـس» أحـد رجـال الأعـمال الكبـار: كيـف كنـت تنفـذ قراراتـك؟ فأجـاب: لقـد وجـدت أن التفكـير المستمر في مشـكلةٍ مـا إلى أبعـد مـن مـدة معينـة يخلـق القلـق، ويولـد الاضطـراب، وإنـه يـأتي وقـتٌ تصبـح فيـه المداومـة على التفكـير ضررًا يجـب اجتنابـه، **فمتـى اتخذت قـرارًا عمـدت إلى تنفيـذه دون أن أتطلـع ألبتـة إلى الـوراء**[٢].

قلـت: وحتـى لـو تكبـدت فيـه مـا لا تحـب؛ فـإنَّ ذلـك أهـون مـن الاضطـراب الـذي قـد يَفْتِـك بنفسـيتك، ثـم إن تكبـد الخسـائر يكـون قليـلًا جـدًّا إذا قـورن بنسـبة الأربـاح باحتسـاب مجمـل القـرارات في حياتـك.

رابعًا: التنافس الحميد:

إنَّ المحـرومَ إذا رأى نجـاحَ غـيرِه راح يشـتغل بالتنقيـص منـه، والحـط مـن قـدر صاحبـه، وإن لم يسـتطع ذلـك فـإنَّ مـادةَ الحسـدِ تبقـى تـأكل قلبَـه.

أما الموفـق السـعيد فـإذا رأى ذلـك عدهـا فرصـةً ثمينـةً فتحـت لـه أُفُقًـا مـن الخـير، وأقبـل عـلى خاصـة نفسـه يـضرب لنفسـه بسـهمٍ في الإنجـاز والنجـاح، ويسـتعظم في نفسـه أن يحسـد النـاس عـلى مـا آتاهـم الله مـن فضلـه.

(١) السيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٢٣-٢٥).
(٢) جدد حياتك للشيخ محمد الغزالي (١/ ٢٧).

ومن شواهد التنافس الحميد ما كان بين الأوس والخزرج

ومـن أمثلتـه أنَّ الأوس لـما قتلـت كعـب بـن الأشرف اليهـودي في عمليـة اغتيـالٍ ناجحةٍ بأمرٍ مـن النبي ﷺ بعـد أن اشـتدت أذيتـه لله ورسـوله ﷺ رغبـت الخزرج في إحـراز فضيلـةٍ مثـل فضيلتهـم..

وذلـك أنـه لما فـرغ المسـلمون مـن أمـر بنـي قريظـة بعـد وقعـة الأحـزاب، وكان سـلام بـن أبي الحقيـق -وكنيتـه أبـو رافـع- مـن أكابـر مجرمـي اليهـود الذيـن حزَّبـوا الأحـزاب ضـد المسـلمين، وأعانوهـم بالمـؤن والأمـوال الكثـيرة، وكان يـؤذي رسـول الله ﷺ سـارعت الخـزرج باسـتئذان النبـي ﷺ في قتلـه، وأذن لهـم ﷺ، ونهـى عـن قتـل النسـاء والصبيـان، فخرجـت مفـرزة قوامهـا خمسـة رجـال، كلهـم مـن بنـي سـلمة مـن الخـزرج بقيـادة عبـد الله بـن عَتِيـك، وتمـت عمليـة الاغتيـال بنجـاح[١]!.

ومـن فقـه القائـد أن يفتـح سـبلًا مـن العمـل أمـام اللُّحْمَـةِ القبليـة بـدلًا مـن تصادمهـا الوخيـمِ النتائـج، حتـى إذا مـا حصـل التفاخـر كان تفاخـرَ إنجـازٍ وعمـل لا تصـادم أهـواء ومصالـح.

ولهـذا لما افتخـر الحيـان مـن الأنصـار: الأوس والخـزرج وقالـت الأوس: منا غسيل الملائكـة حنظلـة بـن الراهـب، ومنـا مـن اهتـز لـه عـرش الرحمـن سـعد بـن معـاذ، ومنـا مـن حمتـه الدبـر عاصـم بـن ثابـت بـن أبي الأقلـح، ومنـا مـن أجيـزت شـهادته بشـهادة رجلـين خزيمـة بـن ثابـت.. ردت الخـزرج وقالـت: منـا أربعـة جمعـوا القـرآن عـلى عهـد رسـول الله ﷺ لم يجمعـه غيرهـم: زيـد بـن ثابـت، وأبـو زيـد، و أبي بـن كعـب، ومعـاذ بـن جبـل رضي الله عنهم[٢].

---

(١) الرحيق المختوم للمباركفوري ص (٢٨٢).
(٢) سكب الرذاذ على سيرة سعد بن معاذ لأم الفضل ص (٢٥-٢٦).

ومن شواهد التنافس الحميد أيضًا:

أنَّ مدرسة البصرة لما تقدَّمت وألَّفت علمَ النحو أرادت مدرسة الكوفة أن تستدرك وتؤلف علم الصرف، واستطاعت أن تُحَقِّقَ ما أمَّلَتْه.

يقول الشيخ **محمد الطنطاوي** كاشفًا قصةَ ذلك:

نشط المتقدمون في استخراج القواعد من المأثور عن العرب بعد استقرائه، وكان مبعث ذلك التنافس بين البصريين والكوفيين، واستطاع الخليلُ بن أحمد أن يجوب بوادي الحجاز ونجد وتهامة حتى جمع أصول علم النحو، وفرَّع تفاريعه، وكشف عن علل ذلك، وبلغ في ذلك غايةً محمودةً فاقت كلَّ من سبقه، بيد أنه اكتفى عن تدوينه بطلبته الذين كان يملي عليهم، وممن حمل الراية معه يونس، وكان له حلقةٌ يؤمها القاصي والداني من فصحاء الأعراب وأهل العلم.

وقد عاصرهما **الرؤاسي الكوفي**، واشترك معهما في التلقي عن الطبقة الثانية البصرية، ثم قصد الكوفة، ووجد عمه معاذ بن الهراء يكلف نفسه البحث عن الأبنية والتمارين الصرفية إلى أن غلبت عليه ناحية التصريف، ومن ثم التفت إليها الكوفيون، وأخذوا يستنبطون للصرف كثيرًا من القواعد التي سبقوا بها البصريين، حتى عدهم المؤرخون هم الواضعين لعلم الصرف؛ **ذلك أنه لما فاتهم شرفُ علمِ النحو تزاحموا بالمناكب على علم الصرف، شأن المُفَرِّطِ الذي يحاول تلافي خطئه**، فظهر فيهم علماء، وانبعثت فيهم فكرة التأليف، وكان أول مؤلَّف تداولوه بينهم كتاب الفيصل للرؤاسي[1].

---

(١) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ محمد الطنطاوي ص (٤٢-٤٣)، وتوسع المؤلف في ذلك، فانظره إذا ابتغيت ذلك.

أما عن التصنيف فإذا كانت البصرة تفاخر الكوفة بأربعة كتب: الحيوان **للجاحظ**، والبيان والتبيين له كذلك، والعين **للخليل بن أحمد**، والكتاب **لسيبويه**.. فقد كانت الكوفة تفاخر بسبع وعشرين ألف مسألة **لمحمد بن الحسن** في الفقه والقياس!.

فأنت ترى أنَّ فكرةَ الاستدراك حملت أهلها على أن يَسدُّوا فجوات في العلم، ويكرموا المكتبة الإسلامية بعزيز المؤلفات ونفيس المصنفات، فأكرم بهذا من تنافس!.



المطلب السابع

التفلت من عوائق الاستدراك

من الفروع المُهِمَّةِ لفقهِ الاستدراك أن يكون قاصدُ الاستدراك ذكيًّا فطنًا يقدر أن يتفلت من المعيقات التي تحول بينه وبين بلوغ مطمحه، وهنا تسجيلٌ لستةٍ منها، قد يكون المستدرِك مُعَانِيًا من بعضها، وهذا بسطُها بين يديك:

أولًا: رفقاء السوء:

وقد بين الله تعالى صفةَ من تنبغي صحبَتُهُم ومن ينبغي هَجْرُهم في آيةٍ واحدة، فقال عز شأنُه:

﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف:٢٨].

فمن كان حالُهُ تائهًا وأمْرُهُ فرطًا ضائعًا لا تنفعك صحبته، والتفلت من هذا المعيق يكون بقرارٍ جريء بإنهاء الصحبة فورًا، كما فعل القعنبي بعد أن سمع الحديث من شعبة، فقد ذهب إلى بيته وكان على موعدٍ مع أصحابه الفسقة، فقال لأمه: «الساعة أصحابي يجيئون فأدخليهم وقدمي الطعام إليهم، **فإذا أكلوا فخبريهم بما صنعت بالشراب حتى ينصرفوا**».

ثانيًا: الزوجة والأولاد:

وقد ورد التحذير من هذا المعيق في سورة التغابن؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ

﴿وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن:١٤].

قال ابن عباس يكشف قصَّة ذلك:

هم رجالٌ أسلموا من أهل مكة، وأرادوا الهجرة إلى النبي ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم، وقالوا لهم: صبرنا على إسلامكم فلا صبرَ لنا على فراقكم فأطاعوهم وقعدوا، فلما أتوا النبي ﷺ فيما بعدُ رأوا الناس قد فقهوا في الدِّين، وتقدموا وجاهدوا، فهموا أن يعاقبوا أهلهم الذين ثبطوهم، فلا ينفقون عليهم، ولا يصيبونهم بخير، فأنزل الله هذه الآية يأمرهم بالعفو والصفح عنهم[١].

يقول الشيخ محمد صالح المنجد: فانظر كيف يُقْعِدُ الأهلُ الرجلَ عن الهجرة أو الجهاد أو الدعوة أو طلب العلم، وقد ينهار الإنسان أمامهم، وتغلبه العاطفة، فإذا رأى من سبقه من إخوانه وكم قدَّم لدينه وأنجز لدعوته نزل به الهم والغم، حتى ربما فكر في معاقبة أهله، لكن ما فائدة الانتقام وقد فات ما فات!، وإنما يفتي العقلُ صاحبَهُ بحسنِ الاستدراك فيما هو آت[٢].

ثالثًا: كثرة الشواغل الدعوية:

من كان كثيرَ الانشغال بالأعمال الدعوية بكل تفصيلاتها فينبغي أن يختار منها ما يتوافق مع رؤيته، بحيث يُقدم فيه نافعًا، ويعَدُّهُ من جملة أعمال المحور الدعوي في خطته التي تقدم الحديث عنها، ثم لْيَدَع ما تَقِلُّ فيه إفادتُه، ويُستهلك فيه وقتُه.

وإذا كان استدراك الرجل في طلب العلم **فكل دقيقة تستطيع أن تنفقها في المسار العلمي فلا تجعلها في التصدر الدعوي**؛ لأن من اعتاد صعود المنبر لم يسمح له

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨/ ١٤١)، تفسير الخازن (٧/ ١٠٥).
(٢) انظر: محاضرة له بعنوان: نظرات تربوية في استدراك ما فات.

المجتمع بالنزول عنه، فهو يملك البداية لكنه لا يملك النهاية، وحياة الطالب أولها التلقي فيه أصلٌ والعطاء تبع، وآخرها العطاء فيه أصل والتلقي تبع، وعليه؛ فلا ينبغي أن يتعجل بالتصدر إلا بعد أن يحوز نصابًا علميًّا يأذن له بذلك.

وما ينبغي لأحدٍ أن يباشر عملًا يفوت به وقته ونفعه فيه قليل، ولا يتمكن من التفلت منه لضغط أربابه عليه، فهنا لا بد من التوجه لمربع القرارات الجريئة، فيعتذر عما فيه تشتت حاله، ويُقبل عما يحسنه ويجد نفسه فيه، وربما لزم أن يُضَحِّيَ بما هو نفيسٌ عنده لأجل ذلك.

رابعًا: التسويف:

يقول الشيخ محمد الغزالي: كثيرًا ما يحب الإنسان أن يبدأ صفحةً جديدةً في حياته، ولكنه يقرن هذه البداية المرغوبة بموعدٍ مع الأقدار المجهولة؛ كتحسُّن في حالته، أو تحول في مكانته، وقد يقرنها بموسمٍ معين، أو مناسبة خاصة؛ كتاريخ ميلاد، أو غرة أسبوع أو شهرٍ أو عامٍ مثلًا.

وهو في هذا التسويف يشعر بأنَّ رافدًا من روافد القوة المرموقة قد يجيء مع هذا الموعد، فينشِّطه بعد خمول، ويُمنّيه بعد إياس، وهذا وهم؛ فإنَّ تجدد الحياة ينبع قبل كل شيء من داخل النفس.

والرجل المُقبل على الدنيا بعزيمةٍ وبصَرٍ لا تخضعه الظروف المحيطة به مهما ساءت، ولا تصرِّفه وفق هواها، إنه هو الذي يستفيد منها، ويحتفظ بخصائصه أمامها، ويقدر على فعل الكثير دون انتظار أمدادٍ خارجية تساعده على ما يريد.

إنه بقواه الكامنة وملكاته المدفونة فيه يستطيع أن يبني حياته من جديد، فما عليه إلا أن ينطلق ليستدرك على نفسه؛ فلا مكان لتريُّث، وإن الزمن لا يهب المُقعَد طاقةً يقدر بها على الخطو أو الجري، فذاك مستحيل.

ولذا لا تُعلِّق بناء حياتك على أمنيةٍ يلِدُها الغيب؛ فإن هذا الإرجاء لن يعود عليك بخير، وإن هذا الحاضر القريب الماثل بين يديك، ونفسك هذه التي بين جنبيك، والظروف الباسمة أو الكالحة التي تلتف حواليك هي وحدها الدعائم التي يتمخض عنها مستقبلك، فلا مكان لإبطاءٍ أو انتظار.

وإن كل تأخير لإنفاذ منهاج تجدد به حياتك، وتصلح به أعمالك لا يعني إلا إطالة الفترة الكابية التي تبغي الخلاص منها؛ بل قد يكون ذلك طريقًا إلى انحدارٍ أشد، وهنا الطامة، فاحذر التسويف؛ فإنه لا يأتي بخير، وإن الموت يأتي بغتة، ولا يَغْتَرَنَّ أحدكم بحلم الله عز وجل؛ فإن الله يقول: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧، ٨].

لقد ساق «**ديل كارنيجي**» في كتابه «دع القلق وابدأ الحياة» عددًا من التجارب التي خاضها رجالٌ ناجحون، فكان يجمعهم أنهم رجالٌ لم يتعلقوا بالغد المرتقب؛ بل انغمسوا إلى الأذقان في حاضرهم وحده، يواجهون مطالبه، ويعالجون مشكلاته، فأمَّنوا بهذا المسلك الرَّاشد يومهم وغدهم جميعًا، ثم أهدوا لنا خلاصات تجاربهم في هذه الكلمات:

«ليس لنا أن نتطلع إلى هدف يلوح لنا باهتًا من بُعْد؛ وإنما علينا أن ننجز ما بين أيدينا من عملٍ واضحٍ بيّن».

وعندما أرى التسويف مادةً تعتادها بعض الألسنة أستذكر ما كتب «**ستيفن ليكوك**» يقول: ما أعجب الحياة! يقول الطفل: عندما أشب فأصبح غلامًا!، ويقول الغلام: عندما أترعرع فأصبح شابًّا!، ويقول الشاب: عندما أتزوج، فإذا تزوج قال: عندما أصبح رجلًا متفرغًا، فإذا جاءته الشيخوخة تطلع إلى المرحلة التي قطعها من عمره، فإذا هي تلوح وكأن ريحًا باردةً اكتسحتها اكتساحًا..

إننا نتعلم بعد فوات الأوان أنَّ قيمةَ الحياة في أن نحياها، نحيا كل يومٍ منها وكل

ساعة[(١)] ا. هـ.

قلت: وهذا يعني أن نستمتع بالزمن الذي نحياه لا أن نقضيه بالعمل النافع فحسب؛ ففرقٌ بين أن تعمل وبين أن تستمتع وأنت تعمل.

وحاصلُ الكلامِ المتقدم أن ابدأ عملك من ساعتك، ولا تؤجل إلى أول الأسبوع أو الشهر؛ **فقوة الأعمال غير منوطة بأوائل الأزمنة؛ وإنما بإقبال الأفئدة.**

بل إنَّ الإنسانَ يُخفي كسَله وضعفَ همَّتِهِ تحت غطاء التسويف، فالمُسَوِّف ظاهره النشاط والحرص والعمل، وحقيقته أنه ينتقل من كسلٍ إلى كسل، فإنَّه كلما جاء وقت العمل أرجأه، فيبقى بنفسيةٍ مطمئنة إلى أنه سيعمل، لكن لو نظر في جيب حسناته ورصيد أعماله لارتد إليه البصر خاسئًا وهو حسير.

ولهذا لست أشك أنَّ التسويفَ داءٌ بغيضٌ مذموم، ففر منه فرارك من المجذوم، وهل أقعد **كعب بن مالك** رضي الله عنه يوم تبوك عن الغزو إلا التسويف، حتى كان من خبره المؤثر الذي تنشد له النفوس وتنخلع له القلوب ما كان!.

وإليك سرده بلسانه، من أوَّلِهِ وحتى موضع الشاهد، ولولا خشية الإطالة لأوردته كاملًا، فقد أخرج **البخاري ومسلم** في الصحيحين أنَّ **كعبَ بنَ مالك** رضي الله عنه حدَّث حين تخلَّف عن قصة تبوك فقال:

لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا؛ إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ حَتَّى جَمَعَ الله بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ.

وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَا

---

(١) جدد حياتك للشيخ محمد الغزالي (١/ ٣) وما بعدها، بتصرف وزيادة بعض ألفاظ.

أُحِـبُّ أَنَّ لِي بِهَـا مَشْـهَدَ بَـدْرٍ، وَإِنْ كَانَـتْ بَـدْرٌ أَذْكَـرَ فِي النَّـاسِ مِنْهَـا.

كَانَ مِـنْ خَبَرِي أَنِّي لَمْ أَكُـنْ قَـطُّ أَقْـوَى وَلَا أَيْسَـرَ حِيـنَ تَخَلَّفْـتُ عَنْـهُ فِي تِلْـكَ الْغَـزَاةِ، وَاللهِ مَـا اجْتَمَعَـتْ عِنْـدِي قَبْلَـهُ رَاحِلَتَـانِ قَـطُّ حَتَّـى جَمَعْتُهُـمَا فِي تِلْـكَ الْغَـزْوَةِ.

وَلَمْ يَكُـنْ رَسُـولُ اللهِ ﷺ يُرِيـدُ غَـزْوَةً إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَـا حَتَّـى كَانَـتْ تِلْـكَ الْغَـزْوَةُ غَزَاهَـا رَسُـولُ اللهِ ﷺ فِي حَـرٍّ شَـدِيدٍ، وَاسْـتَقْبَلَ سَـفَرًا بَعِيـدًا، وَمَفَـازًا وَعَـدُوًّا كَثِـيرًا، فَجَـلَّى لِلْمُسْـلِمِينَ أَمْرَهُـمْ لِيَتَأَهَّبُـوا أُهْبَـةَ غَزْوِهِـمْ، فَأَخْبَرَهُـمْ بِوَجْهِـهِ الَّـذِي يُرِيـدُ، وَالْمُسْـلِمُونَ مَـعَ رَسُـولِ اللهِ ﷺ كَثِـيرٌ، وَلَا يَجْمَعُهُـمْ كِتَـابٌ حَافِـظٌ -يُرِيـدُ الدِّيـوَانَ-، قَـالَ كَعْـبٌ: فَـمَا رَجُـلٌ يُرِيـدُ أَنْ يَتَغَيَّـبَ إِلَّا ظَـنَّ أَنْ سَـيَخْفَى لَـهُ مَـا لَمْ يَنْـزِلْ فِيـهِ وَحْـيُ اللهِ.

وَغَـزَا رَسُـولُ اللهِ ﷺ تِلْـكَ الْغَـزْوَةَ حِيـنَ طَابَـتِ الثِّـمَارُ وَالظِّـلَالُ، وَتَجَهَّـزَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ وَالْمُسْـلِمُونَ مَعَـهُ، **فَطَفِقْـتُ أَغْـدُو لِكَـيْ أَتَجَهَّـزَ مَعَهُـمْ، فَأَرْجِـعُ وَلَمْ أَقْـضِ شَـيْئًا، فَأَقُـولُ فِي نَفْـسِي: أَنَـا قَـادِرٌ عَلَيْـهِ، فَلَـمْ يَـزَلْ يَتَـمَادَى بِي حَتَّـى اشْـتَدَّ بِالنَّـاسِ الْجِـدُّ، فَأَصْبَـحَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ وَالْمُسْـلِمُونَ مَعَـهُ وَلَمْ أَقْـضِ مِـنْ جَهَـازِي شَـيْئًا، فَقُلْـتُ: أَتَجَهَّـزُ بَعْـدَهُ بِيَـوْمٍ أَوْ يَوْمَـيْنِ ثُـمَّ أَلْحَقُهُـمْ، فَغَـدَوْتُ بَعْـدَ أَنْ فَصَلُـوا لِأَتَجَهَّـزَ فَرَجَعْـتُ وَلَمْ أَقْـضِ شَـيْئًا، ثُـمَّ غَـدَوْتُ ثُـمَّ رَجَعْـتُ وَلَمْ أَقْـضِ شَـيْئًا، فَلَـمْ يَـزَلْ بِي حَتَّـى أَسْرَعُـوا وَتَفَـارَطَ الْغَـزْوُ، وَهَمَمْـتُ أَنْ أَرْتَحِـلَ فَأُدْرِكَهُـمْ -وَلَيْتَنِـي فَعَلْـتُ- فَلَـمْ يُقَـدَّرْ لِي ذَلِـكَ.**

فَكُنْـتُ إِذَا خَرَجْـتُ فِي النَّـاسِ بَعْـدَ خُـرُوجِ رَسُـولِ اللهِ ﷺ فَطُفْـتُ فِيهِـمْ أَحْزَنَنِـي أَنِّي لَا أَرَى إِلَّا رَجُـلًا مَغْمُوصًـا عَلَيْـهِ النِّفَـاقُ[١]، أَوْ رَجُـلًا مِمَّـنْ عَـذَرَ اللهُ مِـنَ الضُّعَفَـاءِ، وَلَمْ يَذْكُـرْنِي رَسُـولُ اللهِ ﷺ حَتَّـى بَلَـغَ تَبُـوكَ،..»[٢]!.

---

(١) أي: مطعونًا عليه في دينه، متهماً بالنفاق. انظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ١١٨).
(٢) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٤٤١٨)، صحيح مسلم، رقم الحديث: (٧١٩٢).

وهـذا الخـبر يُـربِّي المسـلم عـلى إنجـاز العمـل دون تسـويف، بـل كيـف يتـورط بذلـك وهـو يقـرأ نتيجـة التسـويف في خـواتيـم الحديـث في قـولَ **كعـب** ﷺ: «**فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ، وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الْأَرْضُ، فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً**»!.

وأبلـغ مـن قولـه قـولُ الله تعـالى عنـه وعـن صاحبيـه اللذيـن تخلفـا: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبـة:١١٨]!!.

فهيـا قـم استـدرك عـلى نفسـك مـا ضـاع منـك في حياتـك؛ فـإنَّ مقامَـك في الأرض قليـل، ورحيلَـك عنهـا قريـب، واشـتغل بتعويـض مـا مضـى في غفلتـك ولهـوك ولعبـك؛ فـإنَّ الكـون مـا خُلـق لذلـك، وإنـما لتَنْـصُرَ الحـقَّ الـذي تحمـل، وتـضرب الباطـل في دماغـه الـذي يفكـر، ألم تَتْـلُ قـولَ ربـك: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ١٦ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٧ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞ﴾ [الأنبيـاء:١٦- ١٨]!.

خامسًا: نفسك التي بين جنبيك:

إن فكـرةَ الاسـتدراك تقـوم عـلى أن يتحـول الإنسـان مـن مسـارٍ خطـأ إلى مسـارٍ صـواب، أو مـن مسـارٍ مفضـولٍ إلى مسـارٍ فاضـل، ثـم يراكـم الجهـد بأعـدل السـبل وأقـوم المنهجيـات حتـى يعـوض مـا فـات.

وهـذا الأمـر يعنـي أنَّ صـدرَ قاصـدِ الاسـتدراك سـيمتلئ بالأفـكار والخواطـر، وربـما دخـل في صراعٍ داخـلي مـع النفـس، وهـذا العنـاء في معركـةِ الشـعور متوقـعٌ؛ لأنـه نتيجـة طبيعيـة فـترة التحـولات في حيـاة الإنسـان، لا سـيما وأنَّ الإنسـانَ نفسَـهُ مخلـوقٌ ضعيـف، حتـى إنَّ كلمـة مـن المـدح ترفعـه، وكلمـة مـن القـدح تقعـدُه!.

ومن هنا يلزم أن يتربى المسلم على اتباع الحق ولو عانى في سبيله، وعلى ترك الباطل ولو تعطلت في ذلك بعض مصالحه.

فيالله كم يعظم الرجل قدرًا وفضلًا إذا أوقف الخطأ، وترك التمادي فيه، واستدركه بصوابٍ لا بخطأٍ مثله، وتحمل حرج ذلك وكلام الجهلاء فيه!.

وقد نبهت على ذلك؛ لأنَّ بعض الناس قد يثبت على باطلٍ مع درايته بالحق، وحبه له، ورغبته في التحول إليه، ولكن يفعل ذلك فرارًا من وصمه بأنه مترددٌ غيرُ ثابت.

ويُنقِذُ الإنسانَ من بلبلة الأفكار الداخلية استشعارُهُ أنه بين يدي أمر ربه برتبة «عبد»، وأن عليه أن يسمع ويطيع لمولاه، ولو عادى أهل الأرض أجمعين في ذلك، استنانًا بأبيه إبراهيم عليه السلام لما قال لقومه -وهو ما زال في سن الشباب يومها-: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٥ - ٧٧].

وهذا الشعور يهب صاحبه قوةً في شخصيته، وقدرةً هائلةً على التحكم بمشاعره، وهاتان المنحتان تجعلان الرجل محتكمًا لعقله لا لعاطفته، **وعاطفة الناجح الموفق في عقله.**

ثم ما المانع أن تتحمل ضريبةَ التحول إلى الحق في ذات الله عز وجل!، فحتى متى ستبقى متلكئًا مترددًا تخسر حسنات الحق من أجل جمهور خيار الباطل!.

إنَّ الآهات القلبية التي تخرج في صورة «فحتى متى» انتفع بها **خالدٌ** رضي الله عنه أيما انتفاع في قرار إعلان إسلامه، فقد كشف لنا **عمرو بن العاص** رضي الله عنه في قصة إسلامه أنه لما توجه للمدينة النبوية يعلنه، لقي **خالدًا بن الوليد** رضي الله عنه في الطريق، فقال

لـه: أيـن يـا أبـا سـليمان؟ قـال: والله لقـد اسـتقام المَنْسِـم[١]، وإنَّ الرجـلَ لنبـي، أذهـب والله أُسْـلِم، **فحتـى متى؟!!** قـال: قلـت والله مـا جئـت إلا لأسـلم! قـال: فقدمنـا عـلى رسـول الله ﷺ[٢]. حسـنه شـعيب الأرنـؤوط.

فانظـر عقـل **خالـد** كيـف نفعـه وقـال لـه: إنَّ الحـقَّ اسـتبان، فحتـى متـى لا نتـدارك أمرنـا ونسـلم[٣]!.

سادسًا: الشعور بالإحباط الناتج عن الأزمات والمصائب:

تجـد مـن النـاس مـن تؤثـر عليـه شـدة الظـروف، حتـى يقبـع في أغـلال الكسـل وآصـار اليـأس عنـد اشـتداد المصائـب والأزمـات.

ومـن وقـع في هـذا الـدَّرَك لا بـد أن يُذَكَّـر بـأنَّ جمهـرةَ الناجحـين تفوقـوا في نفـس الظـروف التـي كان يشـتكيها المحبطـون، وأنَّ الله قـد أقـام نظـام العبـاد عـلى البـلاء، وضاعـف للعاملـين في زمـان الفتنـة والمشـقة العطـاءَ والجـزاء، وأنـت تعامـل رب العالمـين وأحكـم الحاكمـين لا إلـه إلا هـو، فكيـف تحبـط وقـد أخـبرك سـلفًا أن المصائـب والأزمـات واقعـةٌ بكثـرةٍ بقَـدَرِه؛ لئـلا تأسـى عـلى مـا فاتـك كـما مـرَّ تفصيلـه مـن قبـل[٤]، فليـس هنـاك أمـرٌ جديـدٌ أو مفاجـئ في ذلـك!.

ولذا؛ **لا تأس على ما فات؛ إلا لتستدرك فيما هو آت.**

وإن الـذي رعـى أمـرك مـن يـوم مولـدك إلى يومـك هـل يضيعـك فيـما سـيأتي مـن عمـرك!، أفـلا أرشـدك عقلـك إلى أن الله يدبـر الباقـي بدليـل المـاضي!.

---

(١) اسـتقام المَنْسِـمَ؛ أي: تَبَـيَّنَ الطريـق، والأصـلُ فيـه مَنْسِـما خُفـِّ البعـيِر، بهـما يُسْـتَبَانُ أَثَـرُ البعـيِر.
انظـر: غريـب الحديـث لابـن الجـوزي (٢/ ٤٠٦).
(٢) مسند أحمد، رقم الحديث: (١٧٧٧٧).
(٣) انظر: محاضرة للشيخ محمد صالح المنجد بعنوان: نظرات تربوية في استدراك ما فات.
(٤) انظر المطلب الأول من المبحث الأول من الكتاب.

ثـم إنَّ الله وهبك أوراقًا كثيرةً من القـوة، فإن ذهـب بعضهـا انطلقـت في الأرض بـها تبقـى لـك، **وعلمتنا التجارب أن الله إذا أغلق بابًا بعدله فتح أبوابًا بفضله.**

يقـول الشـيخ **محمد الغزالي** ﷺ: أعـرف رجـلًا قطعـت قدمـه في جراحـةٍ أجريـت لـه، فذهبتُ لأواسيه، وعزمـت أن أقـول لـه: «**إن الأمةَ لا تنتظر منك أن تكون عدَّاءً ماهرًا، ولا مصارعًا غالبًا؛ إنـما تنتظر منك الرأي السديد، والفكر النيِّر، وقد بقي هذا عندك ولله الحمد**»!.

لكنـي عندمـا عدتـه وجدتـه يقـول لي: «**الحمـد لله! لقـد صحبتنـي رجـلي هـذه عـشرات السـنين صحبـةً حسـنة، وفي سـلامة الدِّيـن مـا يُـرضي الفـؤاد**»[1]!.

وتقديـرًا لضعـف نفـوس بعـض النـاس أنصَحُـك قائـلًا: **إيـاك أن تكـون سـببًا في نقـل مشـاعر الإحبـاط إلى أحـد، فـإذا لم تقدر على كلمةٍ ترفـع همته بهـا.. فـلا تتفـوه بكلمـةٍ تُقْعِـدُهُ بعدهـا، تمـضي أنـت بعدهـا، ويبقـى يعـاني شرَّهـا ومقتهـا.**

بـل أذهـب معـك إلى مـا هـو أبعـدُ مـن ذلـك؛ هـلا كنـت أنـت عـدوًّا للإحبـاط نفسـه، تعاديـه أينـما وجـد، تطـرده مـن نفسـك بكثـرة الإنجـاز والعمـل، وتنفيـه عـن غـيرك بِبَثِّـكَ فيهـم الأمـل، وبهـذا تسـتحق أن تنضـم لسـجلات تلـك الفئـة التـي تحـدث عنهـا **الرافعي** إذ قـال عنهـا وأحسـن القـول: **إن عبـاد الله الصَّالحـين في تاريـخ الشـياطين كأسـماء المواقـع التـي تنهـزم فيهـا جيـوش المقاتلـين**[2]!.

إنَّ الأرضَ مـلأى بأسـبابِ الأمـل، ومـا عليـك إلا أن تحـول إحبـاط النـاس إلى أمـل، وكسـلهم إلى عمـل، لكـن عليـك كلـما جالسـت واحـدًا أن تصارحـه بـأنَّ **طريـقَ الناجحـين أولهـا تعـبٌ وعنـاء، وآخرهـا راحـةٌ وهنـاء**، ولـن تصـل إلى الهنـاء إلا بعـد أن

(١) جد حياتك للشيخ محمد الغزالي ص (١١).
(٢) وحي القلم للرافعي (٢/ ١٥٥).

تمر بالعناء، والفرق بين الناجح والفاشل أنَّ الناجحَ يفكر دومًا في الحل، والفاشلَ يُفَكِّرُ دومًا في المشكلة.

وفكرةُ تحويل مشاعر الإحباط إلى مشاعر من الأمل هي سنةٌ من جملةِ السنن الواردة عن النبي ﷺ؛ فإنه كان يُحسن أن يجعل الأمر الذي يَرشَحُ بالتشاؤم إلى ينبوع يُزوِّد الناس بالتفاؤل.

خذ لذلك مثلًا نظرة الصحابة رضي الله عنهم إلى جبل أُحُد..

هذا المكان الذي خالفوا فيه أمرَ النبيِّ ﷺ، وقُتِلَ بسبب ذلك سبعون رجلًا، وجرح النبي ﷺ جراحًا بليغة، وتحول النصر إلى هزيمة، وبسبب ذلك تجرأت علينا بعضُ القبائل، فقتلت منا عشرة يوم الرجيع، وسبعين من القُرَّاء يوم بئر معونة، وتبعات ذلك تطول.

فانظر إلى كمية مشاعر الإحباط والتشاؤم التي تنبعث بمجرد تَذَكُّر هذا الجبل، فضلًا عن رؤيته والمسير بجواره!.

لكن النبي ﷺ حوَّل هذه المشاعر، وجعله مكانًا ترتاح فيه النفوس، وتطرب له القلوب، وتشتهي أن تزوره؛ فإنه لما كان عائدًا بالمسلمين من خيبر، وأشرف على المدينة نَظَرَ إِلَى أُحُدٍ فَقَالَ: **«هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»**[1]!!.

يا الله ما أعظم تلك الكلمات التي هي بمثابة الإكسير الذي تتغير به المشاعر فورًا!.

كلمةٌ تَذهب بما في الصدور، وتغرس فيها ما فيه هناؤها وخيرها، حتى تشتهي أن تذهب إلى هذا المكان، وتتربى عنده بتذكر المخالفة على هدوء؛ لنعود متعظين

(١) انظر الحديث بطوله في صحيح البخاري، رقم الحديث: (٢٨٩٣)، صحيح مسلم، رقم الحديث: (٣٣٨٧).

منه، مستمتعين بالمقام عنده!.

ويقع في نفسي أنَّ هذا الأمر مقصودٌ تمامًا من النبي ﷺ، وليس مجرد تحليل وظن؛ فإني لما نظرت في متن الحديث كما ورد في الصحيحين من حديث **أنس بن مالك** رضي الله عنه وجدت **أنسًا** رضي الله عنه يقول في أوله: فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ الله ﷺ إِذَا نَزَلَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: «**اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ**»!.

فإزالة مفردات الهموم والأحزان والعجز والكسل والإحباط والتشاؤم حاضرةٌ في لسان النبي ﷺ حينها، حتى إنه كان يرددها كثيرًا ويسمع من حوله منه ذلك.

بقي أن يُقال للذي يُعاني كثرة المصائب ومشاعر الإحباط: إن ضيقك وتبرمك وإحباطك بعد المصيبة بمنزلة مصيبة جديدة بل أشد؛ لأن تعب النفس أشد من تعب البدن وفوات المال، وإن صبرك عليها، ورضاك عن الله في أقداره بعدها بمنزلة محو لضخامة المصيبة؛ حتى تصبح هينة، قد أَبْطَلْتَ مفعولَها بقوة إيمانك ورجاحة عقلك.

وهذه القيمة الإيمانية يجب أن يدركها المستدرِك؛ لئلا تفتك بنفسيته مصيبةٌ هنا أو أزمةٌ هناك، فامض في العمل، واحذف من قاموسك مفردات التأوه والحزن، فلن يأتي أحدٌ ينجز لك عملك عنك، أما من أبى هذه النصيحة فأخاطبه بقول الشاعر:

أفنيت يا مسكين عمـ	ـــرك في التأوه والحزن
وقعدت مكتوف اليديـ	ـن تقول حاربني الزَّمَنْ
ما لم تقم بالعبء أنـ	ـت فمن يقوم به إذن؟

عبق الختام

أحمدُ الله تعالى حمدًا كثيرًا طيبًا طاهرًا مباركًا فيه وأشكره شكرًا عظيمًا أن يسَّر تدوين هذا الكتاب، وإذ وصلتُ إلى الخاتمةِ فإنني أتوجه إلى القاري بأسطرٍ تربويةٍ لعل الله ينفع بها كاتبها وقارئها، فأقول:

اعلم -يرحمك الله- أنَّ الله يَقبَلُك حيث كنت، فلا يُطلب للاستدراكِ مُؤهِّلٌ معين، ولا موسمٌ مُعين، وإنَّ الخيرَ مُختَبِئٌ خلف الشروع في العمل وإقبال القلب بعد توفيق الله، وليس مرتبطًا بزمانٍ فاضلٍ ولا بمكانٍ مبارك، فاستدرك على نفسك من اليوم، واستكثر من الخير؛ فرب الذي تبقى من العمر أن يكون أقل مما تقدم.

واعلم أنَّ الباب الذي ما زال موصدًا دونك قد يُفتح، لكن تاريخ الفتح مجهول، فأدمن طرق الباب حتى يأذن الله بفضله، وعلى ذلك؛ فلا تفقد الأمل في إصلاح نفسك، ولا تربية ولدك، ولا تقويم أهلك، ولا بلوغ الإمامة في علمك ومطمحك ولو كثرت العراقيل أو تقدمت بك السن، وتذكر دومًا أنك تعامل ربًّا كريمًا، يداه مبسوطتان، ينفق كيف يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

والاستدراك إذا كان حاجةً في الفرد فإنَّهُ ضرورةٌ في المجتمع، فيلزم الأمة أن تستدرك على نفسها في الجوانب الفكرية والجهادية والأمنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والإعلامية والصحية والعلمية التخصصية، وينبغي للمتخصصين في كل باب أن يكتبوا فروع فقه الاستدراك في بابهم، حتى يصبح ثقافةً عامة في النَّاس.

ولا ضير أن نضع أهدافًا كبرى بمستوى الأمم المتقدمة والحضارات الكبرى، ونستدرك في ظلالها؛ لتكون كلُّ خطوةٍ تقفزها الأمة أكبر من مثلها في الأوضاع

الطبيعـة.

ولا بـد أن أهمـسَ في أُذُنِ الأخ الكريـم الـذي يبتغـي الاسـتدراك أنـك ستسـتغني عـن حـظٍّ وافـرٍ مـن الراحـة والنـوم والترفيـه بعـد اليـوم، فالاسـتدراك يتطلـب هِمَّـةً وجَلَـدًا، وتمـردًا عـلى الفسـاد الموجـود، ورفضًـا لعمليـات الترويـض والتخديـر التـي تحـول دونـه.

ولا شـك أنَّ كميَّـةَ الألم التـي تتلجلـج في صـدر المسـتدرِك عـلى نفسـه وإخوانـه ستجعله يقفز خطواتٍ كريمةً كبيرة في طريق تحصيل كرامة أمته ودعوتـه، ويصل إلى حـالٍ ميمونـةٍ لا يكتفـي معهـا بإبـداء الحـزن، ولا بـأن يقبـع في بيتـه أو مسـجده يلُفُّـه اليـأس، تـاركًا دعـاة الإسـلام وحدهـم في المعركـة مـع أصحـاب الأهـواء والنحـل الفاسـدة التـي تريـد أن تعبث بإسـلامنا، بـل سـيكون في ميدان العمـل، وبـث الأمـل، وعندئـذٍ يدخـل فيمـن قصدهـم **جمال الديـن الصرصري الحنبلي** في ختام بكائيتـه التي شـخَّص الواقـع فيهـا أولًا فقـال:

نُحْ وابْكِ فالمعروف أقفَرَ رَسْمُــــهُ ... وَالمنكرُ اسْتَعْلَى وَأَثَّـــرَ وَسْمُـــهُ

هذا الزمـــانُ الآخِـــرُ الكَدِرُ الـذِي ... تَزْدَادُ شِرَّتُـهُ ويَنْقُـصُ حِلْمُـــهُ

وَهَتِ الأَمَانَةُ فِيْهِ وانْفَصَمَتْ عُرَى ... التَّـقْوَى بِهِ والبِـــرُّ أَدْبَرَ نَجْمُـــهُ

وَالصَّالِحُونَ عَلَى الذَّهَابِ تَتَابَعُوا ... فَكَأَنَّهُم عِقْدٌ تَنَاثَــــرَ نَظْمُـــهُ

لَمْ يَبْــقَ إلا رَاغِبٌ هو مُظْهِـــرٌ ... لِلزُّهْدِ والدُّنْيَا الدَّنِيَّـــةِ هَمُّـــهُ

لَوْلا بَقَــــايَا سُنَّـــةٍ ورِجَالِهَا ... لَمْ يَبْقَ نَهْجٌ وَاضِحٌ نأْتَمُّــــــهُ[1]

والآن بعـد أن عرفـت علائـم الطريـق ألم يـأن لـك أن تقـوم وتبقـى قائـمًا حتـى تلقـى الله، تتخـذ لنفسـك في وسـط ركام الظلـم والظـلام سـبيلًا إلى المعـالي طلبًـا للمعـالي هنـاك!.

(١) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار للسلمان (١/ ٢٣٣-٢٣٤). والأبيات كثيرة وما ذكر انتقاء منها.

ألم يـأن لـك أن تسـلك مسـلك الكرمـاء الذيـن سـلَّمُوا لنـا الديـن غضًّـا طريًّـا، ثـم رحلـوا إلى الله بِسَـكينةِ نَفْـس، وقـرَّةِ عيـنٍ لا تنقطـع!.

إنني أناديك بحنجرة ابن الجوزي فأهتف فيك قائلًا:

العمـرُ فِي إمحَـاقٍ، وَقـد سَـبقَ الرِّفـاقُ، وَصَعُـبَ اللَّحَـاقُ، وَسَـاعِي الأجـل مُجِدٌّ كَأَنَّـهُ فِي سِـبَاقٍ، فَانْـبَرِ فِي المقَدِّمَـةِ لِتَلحَـقَ بِالرَّكـب، فالوقـتُ قَـد ضَـاق، وَيحـك لـو أنَّ هِمَّتَـك فَـترت أَمـا تَشْـتَاق!.

طُوبَـى -والله- لمـن تَنَبَّـهَ مِـن رقَـادِه، وَبَكَـى علَـى مِـاضي فَسَـاده، وَفَـرَّ مِـن بَحـرِ الهَـمِّ إلى محُيـطِ سَـدادِه، فـإن فَعلـتَ هـذا كُنـتَ مـن أُولِي الرِّيَـادةِ، وَذَوِي السِّيَادَةِ[1]، وإلا فـإنَّ المحـرومَ مـن عـرف مسـلك الوصـول، وحصـل عليـه أتـم حصـول، ثـم أدبـر وتـولى، وجمـع فأوعـى.

وقبـل أن تنفـك روحـك عـن بدنـك قـم فاسـتدرك عـلى نفسـك، وكـوِّن لـك رصيـدًا كبـيرًا في جنَّـة ربـك، ومـا خـسر عـلى الله أحـد، وإن الله يعطـي، وإذا أعطـى أدهـش، فقـف ببابـه واقصـد فضلـه، فـإنَّ الله ذو الفضـل العظيـم.

تم الكتاب بحمد الله تعالى ومنِّه وكرمه

يوم الاثنين ١٦ من ذي الحجة لعام ١٤٣٩ هـ، الموافق ٢٧/ ٨/ ٢٠١٨م.

سائلًا الله ﷻ أن يكرمني بسرٍّ يفوق العلانية عبوديةً وإخلاصًا وجودًا

وأن يجعل ثمرة كتابي هذا عملًا مقبولًا وأثرًا محمودًا

هذا، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا المصطفى محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين

(١) الدرر البهية في المواعظ الجوزية لمحمد شومان ص (٢٦).

فهرس المراجع

اسم الكتاب	المؤلف
القرآن الكريم	
أولًا: كتب تفسير القرآن الكريم	
جامع البيان في تأويل القرآن	الإمام الطبري
تفسير القرآن العظيم	ابن كثير
الجامع لأحكام القرآن	القرطبي
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز	ابن عطية
البحر المحيط	أبو حيان الأندلسي
تفسير الفخر الرازي	الرازي
الجواهر الحسان في تفسير القرآن	الثعالبي
تفسير الخازن المسمى بـ «لباب التأويل في معاني التنزيل»	الخازن
تفسير الوسيط	الشيخ الطنطاوي
المختصر في التفسير	مركز تفسير للدراسات القرآنية
ثانيًا: كتب السنة وشروحها	
صحيح البخاري	الإمام البخاري
صحيح مسلم	الإمام مسلم
سنن أبي داود وعليها وعلى بقية السنن الأربع أحكام الشيخ الألباني	أبو داود
سنن الترمذي	الترمذي
سنن النسائي	النسائي
سنن ابن ماجه	ابن ماجه
مسند أحمد	الإمام أحمد

المعجم الكبير	الطبراني
مسند الشاميين	الطبراني
تهذيب الآثار	الطبري
مصنف بن أبي شيبة	ابن أبي شيبة
الترغيب والترهيب	المنذري
إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة	البوصيري
مسند إسحاق بن راهويه	إسحاق بن راهويه
صحيح الجامع	الشيخ الألباني
شعب الإيمان	الإمام البيهقي
فتح الباري شرح صحيح البخاري	ابن حجر العسقلاني
فتح الباري في شرح صحيح البخاري	ابن رجب الحنبلي
شرح صحيح البخاري	ابن بطال
شرح صحيح مسلم	الإمام النووي
الديباج على مسلم	السيوطي
تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي	المباركفوري
مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح	المباركفوري
مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح	الملا علي القاري
التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد	ابن عبد البر
التيسير بشرح الجامع للصغير	المناوي
فيض القدير	المناوي
دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين	ابن علان
شرح الأربعين النووية	الشيخ عطية سالم
الجامع لآداب الراوي وأخلاق السامع	الخطيب البغدادي
غريب الحديث	ابن الجوزي

ثالثًا: كتب الفقه	
المجموع شرح المهذب	الإمام النووي
الشرح الكبير	الرافعي
السير الكبير	الشيباني
غاية المنى شرح سفينة النجا	الدوعني
الموسوعة الفقهية الكويتية	وزارة الأوقاف الكويتية
الرباط وأحكامه في الفقه الإسلامي، غزة أنموذجًا	محمد بن محمد الأسطل
مسألة في المرابطة بالثغور أفضل أم المجاورة بمكة؟	ابن تيمية
الرباط في سبيل الله ومجالاته المعاصرة	محمد المصطفى
كاشفة السجا شرح سفينة النجا	الجاوي
قواعد الأحكام في مصالح الأنام	العز بن عبد السلام
رابعًا: كتب اللغة والأدب	
تاج العروس من جواهر القاموس	الزبيدي
لسان العرب	ابن منظور
تهذيب اللغة	الأزهري
النهاية في غريب الحديث	ابن الأثير
المعجم الوسيط	إبراهيم مصطفى وآخرون
مفردات ألفاظ القرآن	الراغب الأصفهاني
مغني اللبيب	ابن هشام
ملحة الإعراب عن كتب الأعاريب	الحريري
تاريخ العلماء النحويين	أبو المحاسن التنوخي
نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة	الشيخ محمد الطنطاوي
وحي القلم	الرافعي

خامسًا: كتب السير والتراجم والطبقات	
السيرة النبوية	ابن كثير
الرحيق المختوم	المباركفوري
سير أعلام النبلاء	الذهبي
مختصر سيرة الرسول ﷺ	عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب
سكب الرذاذ على سيرة سعد بن معاذ رضي الله عنه	أم الفضل
تاريخ الخلفاء	السيوطي
تاريخ بغداد	الخطيب البغدادي
تاريخ دمشق	ابن عساكر
تهذيب الكمال	المزي
الاستيعاب في معرفة الأصحاب	ابن عبد البر
الإصابة في تمييز الصحابة	ابن حجر
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة	ابن حجر
السلوك في طبقات العلماء والملوك	الكندي
الحسرات فيمن رحل للسماع على محدث فوجده قد مات	محمد بن عزوز
كتاب التوابين	ابن قدامة
سادسًا: كتب التربية والرقائق	
إحياء علوم الدين	الإمام الغزالي
صيد الخاطر	ابن الجوزي
مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار	عبد العزيز السلمان
العوائق	محمد أحمد الراشد
تحصيل المرام في علاج مشكلة الشهوات والنظر الحرام	محمد بن محمد الأسطل
الدرر البهية في المواعظ الجوزية	محمد شومان

سابعًا: كتب متفرقة	
مجموع الفتاوى	ابن تيمية
موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة	علي الشحود
الأنساب	السمعاني
مسلكيات	إبراهيم السكران
متن القصيدة النونية	ابن القيم
مقالات وبحوث الدكتور عبد الكريم بكار	عبد الكريم بكار
جدد حياتك	الشيخ محمد الغزالي
الحق بالقافلة	الشيخ عبد الله عزام
مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق	ابن النحاس
دليل المعتكف	محمد بن محمد الأسطل بلال بن جميل مطاوع
ثامنًا: سلاسل ومحاضرات	
محاضرة: نظرات تربوية في استدراك ما فات	الشيخ محمد صالح المنجد
سلسلة سؤال الثقافة	برنامج حواري مع الشيخ محمد بن محمد أبو موسى



فهرس الموضوعات

